الباب الثالث:

زوجات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وحكمة تعددهن

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول:
زوجات النبى

قال الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الفتح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (سورة الفتح ٨ - ٩) .

وفى توقير النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلكه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم . . فآل بيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فقد جعل الله جل وعلا لهم حقا في الخمس والفيء . .

قال عز وجل في سورة الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنفال ٤١) .

وقال جل وعلا في سورة الحشر: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة الحشر ٧) .

وأمر سبحانه وتعالى بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففى الحديث عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرج البخارى (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦ / ٦٦).

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين وذلك سبب لرحمة الله تعالى بهذا النسب كما تجب محبتهم لحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، ولأن محبتهم من محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال في يوم غدير خم: «**وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل، بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى**» جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٤٠٨ / ٣٦).

قال ابن كثير: (ولا تنكر الوصاة بأهله والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرا وحسبا ونسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه والإمام على وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين).

وقال ابن تيمية ولا ريب أن لآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشا يستحقون من المحبة والموالاة ما لايستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لايستحقه سائر أجناس بنى آدم، هذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بنى هاشم على سائر قريش وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره.

والنصوص دلت على هذا القول كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من**

قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» أخرجه مسلم ٢٢٧٦/ ١ .

وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» (أخرجه مسلم ٢٦٣٨/ ١٦٠) .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال: (ارقبوا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته) أخرجه البخارى ٣٧١٣

أما زوجات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضوان الله تعالى عليهم فيجب علينا أن نحفظ حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام والمكانة التى جعل الله لهن لقد رفع الله مقامهم، وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين، وهى منزلة الأمومة، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تبارك وتعالى في سورة الأحزاب. ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (سورة الأحزاب ٦) .

قال القرطبى: (شرف الله تعالى أزواج نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن جعلهم أمهات المؤمنين أى في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضى الله تعالى عنهم بخلاف الأمهات) تفسير القرطبى ١٤/ ١٢٣ .

وقال ابن كثير: وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أى: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا يتنشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع .

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التمييز .

قال جل وعلا في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ

كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٨ - ٢٩).

وبعد اختيارهن رضى الله عنهن الله تعالى ورسوله والدار الآخرة كرمهم الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة فكان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر فقال عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (سورة الأحزاب ٣٢).

يعنى في الفضل والشرف وذلك لما منحهن من صحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن.

عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت: (لما أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتخيير أزواجه بدأ بى فقال: «**إنى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك**» قالت: ثم قال: أن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٢٨- ٢٩).

قالت، فقلت: أفى هذا استأمر أبوى ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما فعلت. أخرجه البخارى (٤٧٨٥) ومسلم (١٤٧٥/ ٢٢).

ولقد تضمنت سورة الأحزاب كثيرا من الأمور التى أكرم الله تعالى بها أزواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهم لله ورسوله والدار الآخرة.

فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة، وأن نثنى عليهم بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرته وما كان لهن من دور بعد وفاته من حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات المؤمنين والمؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة)، فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة.

قال جل وعلا: ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٣١).

وفى ذلك قال ابن كثير: (أى في الجنة فإنهن في منازل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش).

وقال عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (سورة الأحزاب ٣١).

وفى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما: (يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن اكرم على. وثوابكن أعظم لدي).

وقال أبو بكر بن العربى (يعنى في الفضل والشرف).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٤).

وفى ذلك قال ابن جرير الطبرى: (إن الله كان ذا لطف بكن إذ

جعلكن في البيوت التى تتلى فيها آياته والحكمة وهى السنة خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا) .

وقال ابن كثير: (أى بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وإنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك) .

ويؤخذ من كلام الفقهاء أنهم يريدون ب (أمهات المؤمنين) كل امرأة عقد عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل بها .

كما جاء قوله تعالى في سورة الأحزاب وأزواجه أمهاتهم .

والنساء اللاتى عقد عليهن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل بهن وهن أمهات المؤمنين اثنتا عشرة زوجة هن على ترتيب دخوله بهن كما يلى:

١- خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها.

٢- سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها.

٣- عائشة بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنها.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية رضى الله تعالى عنها.

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية رضى الله تعالى عنها.

٦- أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية رضى الله تعالى عنها.

٧- زينب بنت جحش الأسدية رضى الله تعالى عنها.

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية رضى الله تعالى عنها.

٩- ريحانة بنت زيد بنت عمرو القرظية رضى الله تعالى عنها.

١٠-أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان الأموية رضى الله تعالى عنها.

١١-صفية بنت حيى بن أخطب النضيرية رضى الله تعالى عنها.

١٢-ميمونة بنت الحارث رضى الله تعالى عنها.

وتوفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تسع منهن وهن أمهات المؤمنين: سودة، وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينت بنت جحش وأم حبيبة وجويرية وصفية وميمونة . .

ولم تكن واحدة من أمهات المؤمنين رقيقة، بل كن كلهن حرائر بل ذكر المالكية والشافعية أنه يحرم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتزوج بأمة ولو كانت مسلمة؛ لأن نكاحها يكون لعدم الطول (القدرة على زواج الحرة) وخوف العنت. (الزنى) وهو غنى عن الأول ابتداء وانتهاء؛ لأن له أن يتزوج بغير مهر وعن الثانى للعصمة التى عصمه الله سبحانه وتعالى بها.

ونهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يتزوج من وجبت عليها الهجرة فلم تهاجر ولو كانت مؤمنة مسلمة لقوله تعالى في سورة الأحزاب.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ (سورة الأحزاب ٥٠).

وهو ما منع زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم هانى بعد أن خطبها بعد أن أنزل الله تعالى هذه الآية إذ لم تهاجر معه وكانت من الطلقاء. . إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجوز له التزوج من نساء الأنصار، ومن غير المهاجرات فالمقصود بالنهى فقط في هذه الآيات، من وجبت عليها الهجرة ولم تهاجر وقد تزوج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير المهاجرات صفية وجويرية، لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينفى ما عداه.

*****

خصوصية نساء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٢) .

بعد أن اختار نساء النبى رضوان الله عليهن الله ورسوله والدار الآخرة أراد الحق سبحانه وتعالى أن يعطيهن المنهج ويوضح لهن المبادئ التى سيعشن عليها فقال جل وعلا: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٠) .

وهنا انتقل الخطاب من كلام النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه إلى كلام الله لهن مباشرة لأنهن اخترن الله ورسوله فارتفعن إلى مستوى أن يخاطبهن الله تعالى لأنهن أصبحن أهل لذلك .

هنا قدم القرآن الكريم الحديث عن الفاحشة ؛ لأن في عادته التقنين والإصلاح وأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة . . . (فلو أن هناك اثنين أحدهما رماني بحجر والآخر ألقى إلى تفاحة في وقت واحد فهل آخذ التفاحة أم الحجر؟ بالطبع أتقى الحجر ؛ لأن المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

فكان لابد أن يأتى المنهج أو الكلام عما يلوث ويدنس حتى نترفع عنه ، فمثلا الثوب المتسخ ، هل ينفع أن تكويه قبل أن تغسله ؟ لا بل لابد أن تغسله وتنظفه أولا ثم تكويه بعد ذلك .

فكان الله جل وعلا يقول: يا نساء النبى إياكن أن يدور بخلدكن أنكن مجرد زوجات للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنكن أخذتن هذه المنزلة وانتهى الأمر . . لا . . بل لابد أن تتقين الله وتكن قدوة لغيركن . . ولأنهن قدوة

يحذرهن من مضاعفة العذاب لأن لو فعلت إحداهن سيئة فإن فعلتها وهي فساد في ذاتها وإفساد لأنها أصبحت قدوة في بيت نبى - كذلك إن فعلت حسنة تأخذ أجرها مرتين . . لماذا؟ لأنها فعلت صالحا في ذاتها مثل غيرها ولأنها صارت أسوة حسنة لغيرها .

فهنا الله تبارك وتعالى في القرآن يخاطب نساء النبى مبينا خصوصيتهن فغيرهن لسن مثلهن لأنهن أسوة لكل ما عداهن من المؤمنات، ولذلك ضاعف لهن ثواب الطاعات كما ضاعف عقاب المعصية .

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ .

أى: إن اضطررتن للتكلم مع رجال، فتكلمن بصوت لا ليونة فيه ولا تكسر ولا ميوعة، لأنكن عرضة للكلام مع بعض ضعاف الإيمان، أو من في قلوبهم مرض، فلا تعطوا لهم هذه الفرصة، وهذا ليس معناه الكلام مع الناس بغلظة أو بخشونة، ولكن المطلوب منكن كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٢) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (فلما أمرهن بالتقوى التى من شأنها التواضع، ولين الكلام نهاهن عن الخضوع بالقول، لئلا يطمع فيهن ذو المرض ثم أمرهن بعد ذلك بالقول المعروف، رفعا لتوهم الإذن في الكلام لما نهين عن الخضوع بالقول) .

وقال رحمه الله: (أمرهن أن لا يلن في كلامهن، كما تلين المرأة المعطية اللبان في منطقها فيطمع الذى في قلبه مرض الشهوة، ومع ذلك فلا يخضعن في القول بحيث يلتحق بالفحش بل يقلن قولا معروفا) بدائع التفسير: ٣/ ٤٢٤ - ٤٢٥ .

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ (سورة الأحزاب ٥٩).

لأن الرجل حين يجد المرأة تستر مفاتنها، يعرف أنها ليست ممن يعرضن جمال أجسامهن على الرجال، فلا يتجرأ على أن يكلمها أو يغازلها ويعرف أنها ملتزمة.. فإن المرأة التى تظهر محاسنها لغير محارمها والحاحها في كشفها، ففى رأينا أن هذا الإلحاح هو إلحاح في عرضها على غير محارمها من الرجال.

إذن قول الله جل وعلا (ذلك أدنى) أى أقرب إلى أن يعرفن بأنهن قانتات لايعرضن مفاتنهن، فلا يتعرضن لمعاكسة أو نظرات البذىء المستهتر.. وهذا ليس طعنا في نساء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نساء المؤمنين معاذ الله.. ولكن من يراهن من الناس لا نضمن إيمانه أو تقواه.

ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (سورة الأحزاب ٣٣).

أى استقروا في البيوت لماذا ؟ لأن الزوجة لو أدت مطلوبها ورسالتها في تربية أولادها والعناية بهم وتنشئتهم النشأة السليمة السوية لما اتسع النهار كله لها. بل تجدها دائما مشغولة دائما بمصالح بيتها وأسرتها التى هى أساس المجتمع القوى السوى السليم.

ومعنى (ولا تبرجن) البرج هو الحصن وتبرج من الحصن اى: برز منه فمعنى (ولاتبرجن) هو: لا تخرجن من حصن التستر.

ومعنى (تبرج الجاهلية الأولى) هو ظهور العورة دون أن يجد الناس في ذلك غضاضة؛ خاصة إذا كان هؤلاء النساء عبيدا أو إماء أو جوارى.. ويقصد بالجاهلية الاولى الفترة التى سبقت الإسلام ويبدو أن تسمية فترة ما قبل الإسلام في الآية الكريمة بالجاهلية الأولى يشير إلى أن هناك جاهلية ثانية بعد انتشار الإسلام تظهر فيها العورات، وتنكشف دون أن يجد الناس في

ذلك غضاضة . . وأليس هذا ما نراه جهارا في هذا الزمن . .

ولذلك في بيعة النساء أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العهد على المؤمنات بألا يزنين ولايسرقن ولايقتلن أولادهم ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين أزواجهن في معروف .

وذهب جمهور العلماء في دخول أمهات المؤمنين في أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبه قالت السيدة أم المؤمنين عائشة وابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة وعروة وابن عطية وابن تيمية وغيرهم .

ويستدل على ذلك بما رواه الخلال بإسناده عن ابى مليكة أن خالد بن سعيد بن العاص بعث إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها سفرة من الصدقة فردتها وقالت: «**إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة**» أخرجه البخارى (٤١٩) ومسلم ١٠٦٩ / ١٦١ .

وكان عكرمة ينادى في السوق: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ نزلت في نساء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة .

وهذا القول هو الذى يدل عليه سياق الآية لأن ما قبلها وما بعدها خطاب لأمهات المؤمنين إذ قال جل وعلا في سورة الأحزاب: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب ٣٣ - ٣٤) .

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ**﴾ (سورة الأحزاب ٣٣) .

وهذه عمدة التكاليف، ولذلك لا تجد صلاة إلا مقرونة بالزكاة.. لماذا؟ لأن الزكاة ببعض المال والمال فرع العمل والعمل فرعه الزمن والزمن تأخذه الصلاة فأنت ضحيت بكل الزمن بالسبعة وتسعين والنصف في المائة مع الاثنى ونصف في المائة التى تخرجها الزكاة.

وأيضا يفهم منها أن للمرأة المسلمة ذمة مالية مفصولة عن ذمة الغير سواء كان أبا أو زوجا بدليل أن الله تعالى أمرهن بإيتاء الزكاة ما يدل على أنهن يملكن أموالا بلغت حد النصاب، وحال عليها الحول، وهذا يدل على أن للمرأة في الإسلام ذمة مستقلة مع أن الحضارة الحديثة يكون المال فيها للأب حينما تكون البنت عنده وبعد أن تتزوج يصير المال إلى زوجها وأهم من هذا كله أن هذه الحضارة التى يتشدق بها البعض تلغى اسم أبيها بعد زواجها، وتنسبها إلى زوجها فتقطع صلتها بأبيها لكن الإسلام حافظ على كرامة المرأة واسمها وذمتها المالية فنحن عندنا عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، فلا ننسبها إلى زوجها، وإن كان هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن إلى أبيها.

والمسألة ليست في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاه فحسب بل تأتى طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المقدمة لأن هناك مسائل كثيرة أيضا غير الصلاة والزكاة.

هذا ولقد كانت بيوت أمهات المؤمنين معاهد لذكر وتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتحفيظه وشرحه لنساء المؤمنين وكذلك السنة النبوية الشريفة والأمر صريح وواضح من الله تبارك وتعالى لهن بذلك ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ بل لقد كان بعض كبار الصحابة والفقهاء بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغيثون ويستشيرون السيدة أم المؤمنين عائشة فيما عز عليهم إدراكه من المسائل الفقهية.

لذا فإن من حق أمهات المؤمنين أن يحترمن ويعظمن ويصن عن

الأعين والألسن، وذلك واجب على المسلمين نحوهن فإذا تطاول من لا خلاق له على تناولهن بالقذف أو السب، ففى القذف يفرق جمهور الفقهاء بين قذف عائشة رضى الله عنها وقذف غيرها من أمهات المؤمنين فمن قذف السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها بما برأها الله منه، فقد كفر، وجزاؤه القتل وقد حكى القاضى أبو يعلى وغيره الإجماع على ذلك؛ لأن من أتى شيئا من ذلك، فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن قتل، أما من قذف واحدة من أمهات المؤمنين غير عائشة، فقد اختلف العلماء في عقوبته.

فقال بعضهم ومنهم ابن تيمية أن حكم قذف واحدة منهن كحكم قذف عائشة رضى الله عنها اى يقتل لأن فيه عارا وغضاضة، وأذى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل في ذلك قدح بدين رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وقال بعضهم: أن قذف واحدة من أمهات المؤمنين غير عائشة كقذف واحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أو واحدا من المسلمين أى يحد القاذف حد واحدا.

لعموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (سورة النور ٤).

لأنه لا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن؛ لأن شرف المنزلة لا يؤثر في الحدود.

وقال بعضهم ومنهم مسروق بن الأجدع وسعيد بن جبير: من قذف أمهات المؤمنين غير عائشة يحد حدين للقذف أى يجلد مائة وستين جلدة.

أما سب واحدة من أمهات المؤمنين بغير الزنى فهو فسق وحكمه حكم سب واحد من الصحابة رضوان الله عليهم يعذر فاعله.

(الموسوعة الفقهية - أمهات المؤمنين - والعقيدة في أهل البيت بين

التفريط والافراط) ولاخلاف بين أهل السير والعلم بالأثر أن أزواجه عليه الصلاة والسلام اللاتى دخل بهن اثنتى عشرة امرأة: ست من قريش وأربع عربيات وواحدة من بنى إسرائيل من سبط النبى هارون بن عمران، وهى أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب وآخر زوجاته من أمهات المؤمنين هى ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية رضى الله تعالى عنها.

وكونهن أمهات المؤمنين انما هو تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن كما تقدم ذكره ولايقال بناتهن أخوات المؤمنين ولا آباؤهن ولا أمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ولا أخواتهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين.

قال البغوى: (هن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء): روى ذلك عن عائشة رضى الله تعالى عنها إنها قالت عن قضية أنا أم رجالكم لا أم نسائكم) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/ ٥٦٧.

وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول أن النساء لا يدخلن في خطاب الرجال.

وقال: (كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا للرجال والنساء، ويجوز أن يقال أبو المؤمنين في الحرمة، وفضلت زوجاته عليه الصلاة والسلام على النساء وثوابهن وعقابهن مضاعف ولا يحل سؤالهن إلا من وراء الحجاب وأفضلهن خديجة وعائشة).

ولنذكر بعضا من السيرة الذاتية لكل منهن على ترتيب تزوجه بهن صلوات الله وسلامه عليه.

*****

أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها
(صاحبة بيت في الجنة لاصخب فيه ولا نصب)

هى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكانت تدعى في الجاهلية (الطاهرة)

قال الذهبى:

(سيدة نساء العالمين في زمانها أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشية الأسدية أم أولاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد وثبتت جأشه ومضت به إلى ابن عمها ورقة ومناقبها جمة وهى ممن كمل من النساء كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة ، وكان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يثنى عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ، ويبالغ في تعظيمها بحيث أن عائشة:

كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها (ومن كرامتها عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يتزوج امرآة قبلها وجاءه منها عدة أولاد ولم يتزوج عليها قط إلى أن قضت نحبها ، فوجد لفقدها فإنها كانت نعم القرين ، وكانت تنفق عليه من مالها ويتجر هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها ، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) .

وتروى كتب السيرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغ خمس وعشرين سنة **قال له عمه أبو طالب:**

(أنا رجل معيل لا مال لى ، وقد اشتد الزمان وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في

تجارتها ، فلو ذهبت إليها وقلت لها في ذلك لعلها تقبل ، وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك وقالت: أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك) .

وفى رواية أتى إليها أبو طالب فقال لها:

هل لك أن تستأجرى محمدا؟ فقد بلغنا إنك استاجرت ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات .

فقالت خديجة:

لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب .

فقال أبو طالب للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هذا رزق ساقه الله إليك .

فخرج عليه الصلاة والسلام مع غلامها ميسرة ووقعت له القصة مع نسطور الراهب إلى آخر ما هو مذكور في محله من كتب السيرة المفردة لذلك .

ولما رجع عليه الصلاة والسلام بالتجارة من الشام وربحت التجارة الدرهم أربعة دراهم ، وحكى لها غلامها ميسرة أخبار الرحلة وما رأى من خلق كريم وكرامات للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . إلخ .

قالت نفيسة بنت منبه:

أرسلتنى خديجة دسيسا إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقلت (يا محمد ما يمنعك أن تتزوج) ؟

فقال: ما بيدى ما أتزوج به

قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟

قال عليه الصلاة والسلام: فمن هى ؟

قلت: خديجة

قال: وكيف لى بذلك ؟

قلت: على فأنا أفعل .

فذهبت إلى خديجة فأخبرتها فأرسلت إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ائت ساعة كذا وكذا وصنعت طعاما وشرابا ودعت عمها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا **فقالت خديجة:**

إن محمد بن عبد الله يخطبنى ، فزوجها منه عليه الصلاة والسلام فحلقته وألبسته حلة ، وكذلك كانوا يصنعون إذا زوجوا نساءهم والضمير في حلقته ورديفه إلى عمها المزوج لها عمرو بن خويلد المذكور لا إليه عليه الصلاة والسلام .

وجاء في السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين (ص٣٥) .

(وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب) **فقال:** الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ (أصل أو معدن) معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا: محمد بن عبد الله من لا يوزن به رجل إلا رجح به ، فإن كان في المال قلا ، فإن المال ظل مائل وأمر حائل ومحمد قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من آجله وعاجله من مالى كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم) .

فلما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال:

(الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم، ولايرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار).

ثم سكت ورقة فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها.

قال عمها عمرو بن خويلد:

(اشهدوا على يا معشر قريش، إنى قد أنكحت محمدا بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش).

وذكر الملا في سيرته:

لما تزوج عليه الصلاة والسلام خديجة ذهب ليخرج فقالت له خديجة: إلى أين يا محمد ؟

فأجاب:

اذهب فانحر جذورا أو جذورين وأطعم الناس ففعل ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهى أول وليمة أولمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفى رواية:

أمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف.

وقالت:

يا محمد مر عمك أبا طالب أن ينحر بكرا من بكارك وأطعم الناس على الباب وهل فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل فقال مع أهله خديجة.

فأقرالله عينه وفرح أبو طالب بذلك فرحا شديدا .

وقال:

الحمد الله أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم .

وكانت مدة إقامتها معه عليه الصلاة والسلام أربع وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام خمس عشرة سنة منها قبل الوحى والباقيات بعده إلى أن توفيت وهى ابنة خمسة وستين سنة .

ولا خلاف في أنها أول امرأة تزوج بها عليه الصلاة والسلام ولم يتزوج قبلها ولا عليها وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون وولدت له عليه الصلاة والسلام أولاده كلهم ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وفى المواهب اللدنية (١/ ٤٠٣)، وكانت خديجة أول من آمنت من الناس .

وروى ابن السنى بسند له عن خديجة رضى الله تعالى عنها أنها خرجت تلتمس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعلى مكة ومعها غذاؤه فلقيها جبريل في صورة رجل ، فسألها عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهابته وخشيت أن يكون بعض من يريد أن يغتاله فلما ذكرت للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها:

هو جبريل وقد أمرنى أن أقرأ عليك السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولا نصب . . . رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة (٢٤٠) من حديث عمرو بن ملعب رضى الله تعالى عنه .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه:

«أن جبريل قال للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن خديجة قد أتتك بإناء فيه

طعام أو إدام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ويشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» والمراد بالقصب اللؤلؤ المجوف .

وقال الحافظ ابن حجر:

قوله «فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى» زاد الطبرانى في الرواية المذكورة فقالت: «هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام» .

وللنسائى من حديث أنس قال:

قال جبريل للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله يقرئ خديجة السلام» يعنى فأخبرها فقالت: إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمه الله وبركاته .

وزاد السنى من وجه آخر وعلى من سمع السلام إلا الشيطان .

قال ابن إسحاق:

«كان عليه الصلاة والسلام لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت» . رواه النسائى في الكبرى والحاكم في المستدرك .

وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون» رواه أحمد من المسند (١/ ٢٩٣ ، ٣١٦)

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى في شرح بهجة الحاوى المسمى بالغرر البهية في شرح البهجة الوردية أفضلهن خديجة وعائشة وفى

أفضليتهما خلاف وقد صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة حين قالت له:

«لا تزال تلهج بذكر خديجة إن هى إلا عجوز من عجائز قريش كأنى أنظر إلى حمرة شدقيها ودردرها وقد رزقك الله خيرا منها» متفق عليه أخرجه البخارى (٣٨٢١) ومسلم (٢٤٣٧/ ٧٨).

فقال عليه الصلاة والسلام:

«لا والله ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كفر بى الناس وصدقتنى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس». رواه أحمد في المسند (٦/ ١١٨).

وسئل ابن داود: أيهما أفضل ؟

فقال: عائشة أقرأها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام من جبريل: وخديجة أقرئها السلام جبريل من ربها على لسان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهى أفضل.

وقال ابن النقاش:

إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرتها وقيامها في الدين بمالها ونفسها لم يشركها فيها أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة في آخر الإسلام في حمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأمر ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميز به عن غيرها» رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٠).

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى بالشيء يقول: **«اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة»**.

رواه ابن حيان والدولابى - وفى رواية: «**فإنها كانت تحب خديجة**»

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها قالت:

كانت عجوز تأتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيبش لها ويكرمها وفى لفظ: كانت تأتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة فقلت: يا رسول الله من هذه ؟ . وفى لفظ: بأبى أنت وأمى إنك لتصنع لهذه العجوز ما لم تصنع بأحد وفى لفظ فلما خرجت **قلت**: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وأن حسن العهد من الإيمان**» وفى لفظ: «**فإن كرم العهد من الإيمان**» رواه الحاكم في المسند ووافقه الذهبى والطبرانى في الكبير .

وعن الحكمة من زواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخديجة رضى الله تعالى عنها .

قال الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى:

«لقد اختار الله سبحانه وتعالى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتزوج خديجة رضى الله تعالى عنها وهو في سن الخامسة والعشرين وهى في سنّ الأربعين مع أن المألوف أن الإنسان يحب أن يتزوج بمن هى أصغر منه .

ولكن هدف الزواج لم يكن مجرد متعة فلم يكن زواجا عاديا بل كان زواجا أعده الله ليكون سكنة لرسوله عليه الصلاة والسلام في الفترة الانتقالية التى سيمر بها من بشرية عادية إلى بشرية تتلقى الوحى من الله . . . . هذا التغيير الهائل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محتاجا فيه إلى قلب ووعى ممن تعالج المواقف بحكمة السنوات والنضوج العقلى الذى كان لازما خلال هذه المرحلة .

ولو كانت خديجة فتاة صغيرة طائشة لهربت من أول يوم عاد فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغار وهو يرتجف أو اتهمته اتهامات شتى ذلك أن عقلها لم يكن في هذه الحالة يمكن أن يستوعب تلك التجربة الهائلة التى يمر بها أشرف خلق الله من البشرية العادية إلى البشرية التى تختلط بالملائكة وتتلقى عن الله بواسطة الملك ولذلك عندما قال لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن رأى جبريل في الغار: «**إنى أخاف أن يكون الذى يأتينى رئيسا من الجن. قالت: إنك لتصل الرحم وتكسب المعدم، وتعين على نوائب الحق، والله لا يخزيك الله أبدا**» .

كان لابد لكى تقول خديجة هذا الكلام وتكون حنونا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكون ناضجة العقل والفكر قد صقلتها السنون . . . تملك العقل الواعى الذى يستطيع أن يميز وأن يختار لا يكون فيها طيش ولا رعونة . . . لا فتاة صغيرة قد تهزها الأحداث فتجعلها تنهار تماما في هذه الفترة الحرجة من حياة الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (السيرة . . النبوية للشعراوى ١/ ١٠١) .

* * * * *

أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها

هى سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية: أمها الشموس بنت قيس بن زيد بن لبيد ابن أخى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم عبد المطلب.

أسلمت قديما وبايعت وكانت متزوجة من ابن عم لها يقال له السكران ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن عامر وأسلم السكران زوجها معها قديما وهاجرا معا إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل: إنه مات بالحبشة وولدت له ابنا اسمه عبد الرحمن قتل في حرب جلولا اسم قرية من قرى فارس وقعت تلك الحرب فيها».

وتزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد موت السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها في السنة العاشرة من النبوة - قبل أن يعقد على السيدة عائشة وهذا قول قتادة وأبى عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره.

قال الذهبى:

«هى أول من تزوج بها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد خديجة وانفردت به نحوا من ثلاث سنوات أو اكثر حتى دخل بعائشة وكانت سيدة جليلة نبيلة يروى لها خمسة أحاديث منها فى الصحيحين حديث واحد عند البخارى»

وفى رواية أن البخارى روى لها حديثين وروى لها أبو داود والنسائى (أعلام النساء - ٢/ ٢٦٧ - ٢٦٩)

قال العلامة محمد الشامي:

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال:

«كانت سودة بنت زمعة تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو العمارى فرأت فى المنام كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل يمشى حتى وضع رجله على رقبتها فأخبرت زوجها» .

فقال:

«لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .

ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمرا انقضَّ عليها وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال:

«لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرا حتى أموت وتتزوجين من بعدى» فاشتكى السكران من يومه فلم يلبث إلا قليلا حتى مات وتزوجها النبى عليه الصلاة والسلام

(رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى) ٨/ ٥٤

وفى إعلام النساء: عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب سودة وكان لها خمسة صبية أو ستة فقالت:

«والله ما يمنعنى منك وأنت أحب البرية إلى ولكنى أكرمك أن يصخبوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكحة أو بمشية» .

فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يرحمك الله إن خير نساء يركبن على أعجاز الإبل. صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه لبعل فى ذات يده» .

وصح عن عائشة ابن سعد بسند صحيح عن محمد بن سيرين أن عمر

رضى الله تعالى عنه بعث إلى سودة بغرارة من دراهم فقالت ما هذه ؟

قالوا: دراهم .

قالت: في غرارة مثل التمر . . . . . ففرقتها .

وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل أبى الأسود يتيم عروة أن سودة قالت: **«يا رسول الله إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا أنت»** .

فقال لها: «يا بنت زمعة، لو تعلمين علم الموت لعلمت أنه أشد مما تظنين» .

وقال الشنقيطى:

فقد كانت معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع وكان يعرف ما بها من ضعف حيث أنها بطيئة جسيمة فرفق بها ورحم منعتها فائذن لها بالسير ليلا من المشعر الحرام إلى منى ، وذلك لتصل قبل حطمة الناس فلا تتورط في زحامهم ، وفى هذه الحجة بالخصوص بسط رسول الله يد الرحمة لأمته فكان لا يسأله من الحجاج عما قدم أو ما أخَّر من حجة إلا قال: **«افعل ولا حرج»** .

في البخارى عن ابن عباس قال: سئل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمن حلق قبل أن يذبح قال: **«لا حرج لا حرج»** .

وأخرج أيضا عن ابن عمر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا وقال: **«افعل ولا حرج»** أخرجه البخارى (١٦٨٠) وسلم (١٢٩٠ / ٢٩٣) .

فكل هذه الرحمة وهذا التوسيع وصل إلى الأمة من بركة سودة فهى التى كانت من استأذنه أن تتقدم قبل الحجاج وألا تدفع من المشعر الحرام

بدفع الجميع فاذن لها ورحم بوحى من الله جل وعلا من سأله بعدها وقال له: «افعل ولاحرج».

وماتت أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها في المدينة في خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وهذا هو المشهور في وفاتها... أخرجه البخارى ١٦٨٠ ومسلم (١٢٩٠/٢٩٣)..... ونقل ابن سعد الواقدى أنها توفيت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية.

ومن الحكمة في زواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسيدة أم المؤمنين سودة بنت زمعة أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهليهن خشية الفتنة ولوعادت إلى أهلها بعد وفاة زوجها - وكان ابن عمها - لعذبوها وفتنوها هى وأولادها الخمسة فكفلها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هى أولادها، وكافأها بهذه المنة العظيمة، وأن يكون ما قام به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درسا لأمته بألا تترك المؤمنة الملتزمة بدينها المتمسكة بعقيدتها، سواء كانت وحدها، أو مع صغارها في مواجهة قسوة الحياة وفتنها؛ بل يجب أن تكون في كنف رجل مؤمن يكفلها هى وصغارها حماية لهم من الفتنة والانحراف إذا كان في وسعه هذا..

*****

أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها

هى عائشة بنت أبى بكر الصديق القرشية التيمية أمها أم رومان بنت عويمر وقد روى أبو بكر بن أبى خيثمة عن على بن زيد عن القاسم بن محمد أن أم رومان زوج أبى بكر أم عائشة لما وليت في قبرها .

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» ، رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى .

وقال الذهبى يصف عائشة رضى الله تعالى عنها:

«كانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها: الحميراء ولم يتزوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكرا غيرها. ولا أحب امرأة حبها ولا أعلم فى أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل ولا فى النساء مطلقا امرأة أعلم منها وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل فى العلم من أبيها وهذا مردود وقد جعل الله لكل شىء قدرا بل نشهد أنها زوجة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك منفر... وإن كانت للصديقة خديجة شأن لا يلحق... وأنا واقف فى أيتهما أفضل... نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها» (سير أعلام النبلاء ٢/ ١٤٠) .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت:

قال لى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أريتك فى المنام قبل أن أتزوجك مرتين» .

وفى لفظ: ثلاث ليال (جاءنى بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فإذا هى أنت فأقول: إن يكن من عند الله يمضه»

أخرجه البخارى (٣٨٩٥) ومسلم ٢٤٣٨ / ٧٩ وأحمد في المسند ٦/ ٤١ .

وروى الترمذى وحسنه ابن عساكر عنها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(جاءنى بك جبريل في خرقة خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة) رواه الترمذى (٣٨٨٠) .

وقال الألبانى في صحيح الترمذى ٣٠٤١ صحيح .

وروى ابن عساكر بسنده: لما ماتت خديجة حزن عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنا شديدا فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال: (يا رسول الله هذه تذهب ببعض حزنك وإن في هذه خلفا من خديجة ثم ردها) فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختلف إلى بيت أبى بكر، ويقول: (يا أم رومان استوصي بعائشة خيرا واحفظيني فيها فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت: (كنت صاحبة عائشة رضى الله تعالى عنها التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعى نسوة فوالله ما وجدنا عندها قرى إلا قدحا من لبن) . قالت: فشرب منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية .

فقلت: (لا تردن يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاخذتها على حياء فشربت منه) .

ثم قال: «ناولى صواحبك» فقلن: لا نشتهي .

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تجمعين جوعا وكذبا»** .

فقلت: يا رسول الله إنا إذا قلنا لشيء نشتهيه لا نشتهيه يعد ذلك كذبا؟

قال: (إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبة) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٣٨) (بلفظ: ولا تجمعن . . حتى تكتب الكذيبة كذيبة).

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عنها قالت:

(تزوجنى رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال وبنى بى في شوال فأى نسائه كان أحظى عنده منى).

ومن المعروف أن العرب كانت تستحب أن يبنى بنسائها في شوال

وروى الترمذى وصححه عن عبد الله بن زياد الأسدى.

قال: سمعت عمارا يقول: (هى زوجته في الدنيا والآخرة).

رواه الترمذى (٣٨٨٩) وحسنه وصححه الألبانى في صحيح الترمذى (٣٠٤٨).

وروى أبو عمرة بن السماك أن عائشة رضى الله عنها قالت:

(إنى لأفخر على أزواج النبى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع: ابتكرنى ولم يبتكر امراة غيرى ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل على إلا في بيتى ونزل في عذرى قرآن يتلى وأتاه جبريل بصورتى مرتين قبل أن يملك عقدى).

(السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ٧٣)

وروى الطبرانى والبزار برجال ثقات وابن حبان عنها قالت: رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب النفس.

فقلت: يا رسول الله ادع لى.

فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك».

فقال رسول الله أسرك دعائى ؟

فقالت: ما لى لا يسرنى دعاؤك ؟

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فوالله إنها لدعوتى لأمتى في كل صلاة) .

وروى ابن أبى شيبة عن قيس بن وهب قال:

قلت لعائشة أخبرينى عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قالت: أو ما تقرأ القرآن: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٧٤٦ / ١٣٩) .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها: أن الله عز وجل أنزل الخيار فبدأ بعائشة وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنى أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى يأتي أبو بكر .

قالت: ما هو ؟

فتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**﴾ إلى آخر الآية:

فقالت: «أفيك أستامر أبى ؟ بل أختار الله ورسوله» (أخرجه مسلم ١٤٧٥ / ٢٢) .

وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت:

«**فضلت على نساء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخصال عشر. قيل: وما هن يا أم المؤمنين ؟ قالت: لم ينكح بكرا غيرى ولم ينكح امرأة أبوها مهاجر غيرى وأنزل الله براءتى من السماء، وجاءه جبريل بصورتى من السماء فى حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك وكنت أغتسل أنا وهو فى إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه وكان يصلى وأنا بين يديه وكان**

ينزل عليه الوحى وهو معى، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه وقبضه الله وهو بين سحرى ونحرى ودفن فى بيتى ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه» . (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٦٣) .

وروى الترمذى وصححه الألبانى في صحيح الترمذى وابن أبى خيثمة عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال: (ما أشكل أمر علينا - أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما) .

وروى الطبرانى عن الزهرى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لو جمع نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان علم عائشة أكبر من علمهن) .

وروى الحاكم بسند حسن عن مسروق أنه كان يحلف بالله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله يسألون عائشة عن الفرائض .

وروى الطبرانى عن موسى بن طلحة: (ما رأيت أحدا كان أفصح من عائشة) .

وروى أبو عمرو وابن عساكر عن عمرو بن الزبير قال: (ما رأيت أحدا أعرف بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه ولا بطب ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة) (رواه الطبرانى في الكبير ٢٣/ ٢٩٤) .

وروى عن عروة وقد قيل له: ما أرواك - وكان أروى الناس للشعر .

فقال:(ما روايتى في رواية عائشة: ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا) وروى الإمام أحمد عن عروة أيضا أنه كان يقول لعائشة: **«يا أماه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنة أبى بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر، وكان من**

أعلم الناس بأيام العرب وأنسابها ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو وأين هو ؟ فضربت على منكبه . وقالت: أى عربية (تصغير عروة) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسقم وفى لفظ كثرت أسقامه آخر عمره - فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فكانت تنعت له الإلعاق وكنت أعالجها فمن ثمة» (رواه أحمد في المسند ٦/ ٦٧) والطبرانى في الكبير (٢٣/ ٢٩٥) .

روى الحاكم وأبو عمرو وابن الجوزى عن الزهرى قال: (لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكانت عائشة أوسعهم علما) - (رواه الحاكم في المستدرك)

وروى الإمام أحمد في الزهد والحاكم عن الأحنف بن قيس قال: «سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء وهلم جرا فما سمعت لكلام مخلوق منهم افخم ولا أحسن من عائشة» - (رواه الحاكم في المستدرك) .

وروى ابن أبى خيثمة عن سفيأن بن عيينة قال:

قال معاوية بن أبى سفيان: يا زياد أى الناس أعلم ؟

قال: أنت يا أمير المؤمنين .

قال: أعزم عليك: قال إما إذا عزمت على فعائشة .

وروى البلاذرى عن القاسم بن محمد قال:

«كانت عائشة قد استقلت بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت وعنها رضى الله تعالى عنها قالت: كنت أدخل البيت الذى دفن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضعة ثوبى عنى وأقول: إنما هما زوجى وأبى فلما دفن عمر والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابى

حياء من عمر» .

حديث الإفك:

لم تسلم الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنها في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كيد المنافقين والحساد وعلى رأسهم عبد الله بن أبى ابن سلول المشهور بين أصحابه وخصومه بالكذب والنفاق والبغض لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته ، ولذلك كان يخلو بأعداء الإسلام ويؤلبهم على المسلمين ويسول لهم قتل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويوغر صدورهم على الدين الجديد والمنتسبين إليه وكان كل هذا والله أعلم لأنه ضاع منه الملك والتاج بظهور الإسلام ، فلا عجب أن يكون له غرض في ترويج حديث الإفك واتخاذه مطعنا في الإسلام من وراء الطعن في كرامة نبى الإسلام وزوجته الطاهرة أم المؤمنين .

ولنسمع حديث أم المؤمنين عائشة نفسها وهى تقص علينا ماحدث إذ قالت رضى الله عنها: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه فأقرع بيننا فى غزوة غزاها، فخرج سهمى فخرجت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما نزل الحجاب، فانا أحمل فى هودجى، وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوته تلك» .

قال الذهبى:(كان في غزوة المريسيع سنة خمس من الهجرة)

وقفل ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين أذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فإذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى

الذى كنت ركبت وهم يحسبون أنى فيه .

وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم ؛ إنما تأكل العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدى بعدما سار الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلى .

فبينما أنا جالسة في منزلى غلبتنى عينى فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم ؛ فأتانى فعرفنى حين رآني وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ؛ فخمرت وجهى بجلبابي . والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة .

فهلك من هلك وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فأشتكيت حين قدمت شهرا ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبنى في وجعى أنى لا أعرف من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى إنما يدخل على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم يقول: كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى ولا أشعر بالبشر حتى خرجت بعدما نقهت ؛ فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع ؛ وهو متبرزنا ، وكنا لانخرج إلا ليلا إلى ليل ؛ وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنه أبى رهم بن عبد مناف ؛ وأمها بنت صخر بن عامر

خاله أبى بكر الصديق؛ وابنها مسطح بن أثاثة فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى وقد فرغنا من شأننا فتعثرت أم مسطح في مرطها؛

فقالت: تعس مسطح .

فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟

قالت: أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال؟

قالت: وما قال ؟

قالت السيدة عائشة أم المؤمنين:

فأخبرتنى بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرض ، فلما رجعت إلى بيتى ودخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعنى سلم ثم . . قال: كيف تيكم ؟

فقلت: أتاذن لى أن آتى أبوى ؟ وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما .

فقالت: فأذن لى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجئت أبوى فقلت لأمى: يا أماه ما يتحدث الناس ؟

قالت أمى: يا بنية ، هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها .

قالت السيدة عائشة:

فقلت سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ؟ وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي .

فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما حيث استلبث الوحى يستأمرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذى يعلم من براءة

أهله، وبالذى يعلم لهم في نفسه من الود فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

وقالت السيدة عائشة:

فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريرة فقال: «أى بريرة هل رأيت شيئا يريبك» ؟

قالت بريرة:

والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجن فتأكله - فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبى ابن سلول.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل، قد بلغنى أذاه في أهل بيتى؟ فوالله ما علمت من أهلى إلا خيرا.

ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلى إلا معى فقام **سعد بن معاذ الأنصارى فقال:** يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة هو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله. فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

وقالت أم المؤمنين: فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم .

وقالت: فأصبح أبواى عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالق كبدى ، فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكي فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم جلس ولم يجلس عندى منذ ما قيل قبلها .

وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأنى .

قالت السيدة عائشة أم المؤمنين:

فتشهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال:

أم بعد يا عائشة ، فإنه وقد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله ، وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

وقالت:

فلما قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قال:

قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فقلت:

إنى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حين استقر فى أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إنى بريئة ، والله يعلم إنى بريئة لا تصدقون بذلك ، ولئن اعترفت أنفسكم لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبى يوسف: قال: ﴿فَصَبْرٌ

جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (سورة يوسف ١٨) .

وقالت: ثم تحولت فاضجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله يبرئني ببرائتي ، ولكن والله ما كنت أظن الله منزلا في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

وقالت: فوالله ما دام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه من البرحاء ، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه فلما سرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك».

وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ (سورة النور ١١) العشر الآيات كلها .

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره .

والله لا أنفق على مسطح شيئا بعد الذي قال لعائشة ما قال:

فأنزل الله جل وعلا: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور ٢٢) .

قال أبو بكر:

بلى أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله ما أنزعها منه أبدا .

وقالت أم المؤمنين عائشة:

وكان رسول الله صَلَّىٰٓاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى

فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟

فقالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ما علمت إلا خيرا .

قالت: وهى التى كانت تساميني في أزواج رسول الله صَلَّىٰٓاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك) البخارى ٤٧٥٠ .

وهكذا أراد الله عز وجل أن يمر رسول الله صَلَّىٰٓاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها بأصعب ، وأقسى تجربة إنسانية يمكن أن تمر بها أسرة أو يمر بها إنسان ، ليشكلا بها معا للإنسانية جمعاء قدوة في السلوك الإنسانى وكيفية التصرف ولكى تستشف منها الأمة الإسلامية من بعدها الكثير من الحكم والمواعظ والسلوكيات المشروعة .

قال الحافظ ابن حجر فتح البارى ٩/ ٤٢١ - ٤٢٤ :

وفى هذا الحديث مشروعية القرعة حتى بين النساء وفى المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو وجواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيد مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكى إذا كان بريئا عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقوع فيه وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ، ولو كان ذلك مما يشق عليها حيث يكون مطيقا لذلك .

وفية خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها، بل اعتمادا على الإذن العام المستند إلى العرف العام وجواز تحلى المرأة في السفر بالقلادة ونحوها وصيانة المال ولو قل للنهى عن إضاعة المال، فإن عقد السيدة عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر.

وفيه شؤم الحرص على المال؛ لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى؛ وقريب منه قصة المتخاصمين حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما فإنهما لم يقتصرا على ما لا بد منه، بل زادا في الخصام حتى ارتفعت أصواتهما، فأثر ذلك بالرفع المذكور؛ وتوقف رحيل العسكر على إذن الأمير واستعمال بعض الجيش ساقة يكون أمينا ليحمل الضعيف ويحمل ما يسقط وغير ذلك من المصالح والاسترجاع عند المصيبة؛ وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأحباب وإطلاق الظن على العلم؛ كذا قيل وفيه نظر قدمته وإغاثة الملهوف وعون المنقطع؛ وإنقاذ الضائع؛ وإكرام ذوى القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك وحسن الأدب مع الأجانب خصوصا النساء لاسيما في الخلوة؛ والمشى أما المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشى.

وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضى النقص وإن لم يتحقق وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر أو تعترف وأنه لا ينبغى لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذى باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه.

وفيه السؤال عن المريض وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة؛ فإذا كان السبب محققا فيترك أصلا وإن كان مظنونا فيخفف وإن كان مشكوكا فيه أو محتملا فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قبل بل لئلا

يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه لأن ذلك من خلال خوارم المروءة .

وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها ، وفيه ذبُّ المسلم عن المسلم خصوصا من كان من أهل الفضل وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل وبيان مزيد فضيلة أهل بدر وإطلاق السب على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص .

وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من أتاهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك ، وفيه فضيلة قوية لأم مسطح ، لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة ، بل تعمدت سبه على ذلك .

وفيه تقوية لأحد الاحتمالين في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أهل بدر: «**أن الله قال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» أخرجه البخارى ٣٠٨١ ومسلم ٢٤٩٤/ ١٦١ .

وأن الراجح أن المراد بذلك أن الذنوب تقع منهم لكنها مقرونة بالمغفرة تفضيلا لهم على غيرهم بسبب ذلك المشهد العظيم .

وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدنيس . فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا .

وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على اذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبويها . وفيه البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقا وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين . . . . وأن خبر الواحد إذا جاء شيئا بعد شيء أفاد القطع لقول السيدة عائشة:

(لأستيقن الخبر من قبلهما) وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين .

وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب والبحث عن حال من أتهم بشيء وحكاية ذلك للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبة وفيه استعمال (لا نعلم إلا خيرا) في التزكية وأن ذلك كان في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفى أمره وفيه التثبت في الشهادة وفطنة الإمام عند الحادث المهم والاستنصار بالأخصاء على الأجانب وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به والعتاب له واستشارة الأعلى لمن هو دونه واستخدام من ليس في الرق وأن من استفسر عن حال شخص ، فأراد بيان ما فيه من عيب فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه كما قالت بريرة في عائشة حيث عابتها بالنوم عن العجين فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن .

وفيه أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحى لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحى (نبه عليه الشيخ أو محمد بن أبى جمرة نفع الله به) وأن الحمية لله ورسوله لا تذم .

وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح وجواز من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز ذلك عليه تغليظا له وإطلاق الكذب على الخطأ والقسم بلفظ لعمر الله وفيد الندب إلى قطع الخصوم وتسكين ثائرة الفتنة وسد ذريعة ذلك واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما وفضل احتمال الأذى .

وفيه مباعدة من خالف الرسول ولو كان قريبا حميما وفيه أن من أدى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفيه مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن . وفيه تثبت أبى بكر الصديق في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادى الحال فيها شهرا كلمة فما فوقها إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال:

(والله ما قبل لنا هذا في الجاهلية فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام وقع ذلك في حديث ابن عمر عند الطبرانى) .

وقيد ابتدأ الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء وقول: أما بعد وتوقيف من نقل عنه ذنب على ما قبل فيه بعد البحث عنه ، وأن قول كذا وكذا يكنى بها عن الأحوال كما يكنى بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد .

وفيه مشروعية التوبة وإنها تقبل من المعترف المقلع المخلص وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو عرف انه يصدق في ذلك ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه بل عليه أن يقول الحق أو يسكت .

وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه .

وفيه تقديم الكبير في الكلام وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام

وفيه تبشير من تجددت له نعمه أو اندفعت عنه نقمة

وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه وإدلال المرأة عن زوجها وأبويها وقد ربح من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح في أول وهلة فيهلكه يؤخذ ذلك من ابتداء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نزول الوحى ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الرى من الماء لئلا يقضى به ذلك إلى الهلكة بل يجرع قليلا قليلا .

وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج وفضل من يفوض الأمر لربه وأن من قوى على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالتى أم المؤمنين عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقوله: (والله المستعان).

وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصا في صلة الرحم ووقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه وأن من حلف أن لايفعل شيئا من الخير استحب له الحنث وجواز الاستشهاد بآى القرآن في النوازل والتأسى بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم.

وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر وذم الغيبة وذم سماعها وزجر من يتعاطاها لاسيما أن تضمنت تهمة المؤمن بمن لم يقع منه.

وذم إشاعة الفاحشة وتحريم الشك في براءة السيدة عائشة وفيه تأخير الحد عمن يخشى من إيقاعه به الفتنة.

فتح البارى (٩/ ٤٢١ - ٤٢٤).

وانتصرت السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها في حديث الإفك وبرأها الله عز وجل سبحانه وتعالى مما قالوا بآيات تتلى في القرآن الكريم إلى يوم البعث.

وقدرت عائشة رضى الله تعالى عنها هذا الانتصار حق قدره وأبت إلى بيتها أوبة الظافر المتين ولا ريب في أن انتصرت مع السيدة أم المؤمنين عائشة كل مؤمنة طاهرة نقية تتعرض لمثل هذه التجربة القاسية وتواصت بالحق والصبر إلى أن ينفذ الله أمره فإن العلى القدير جل وعلا يدافع عن الذين أمنوا ولا يتخلى عنهم أبدا.

وظلت السيدة أم المؤمنين عائشة أعواما مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نعمه وسعادة وسرور يتنزل الوحى من الله جل وعلا في بيتها ويقرئها

جبريل عليه السلام ويحبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعظمها المسلمون .

وقعة الجمل:

ولبثت السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بعد وفاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوا من خمسين سنة كانت فيها كعبة أهل المدينة ومقصد جميع المسلمين والمسلمات والكل يقدر مكانتها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستنير أهل العلم والفقه بما لها من فقه وحديث ويتقوى أهل الرأى بمشورتها ويحرص ذو الحكم على تأييدها وعلى اكتساب قوة نفوذها فكانت حقا زعيمة أمهات المؤمنين آنذاك . وكانت رضى الله تعالى عنه تأبى أن لا تعطى لمنصبها مدلولة في كل ميدان ، وخاصة في القضايا العامة ، وهذا ما يفسر لنا تدخلها في خلاف المسلمين حول مقتل الخليفة عثمان رضى الله تعالى عنه .

وقد قيل أنها ترددت كثيرا قبل أن تذهب إلى البصرة وأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لم يزل بها يفتل في الذروة والغارب حتى ذهب بها .

قال الذهبى:

لما قتل عثمان صبرا سقط في أيدى أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبايعوا عليا ثم أن طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم في نصرة عثمان إلا أن يقوموا في الطلب بدمه والأخذ بثأره من قتلته فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين وطلبوا البصرة .

وقال خليفة تاريخ خليفة بن خياط:

قدم طلحة والزبير وعائشة البصرة وبها عثمان بن حنيف الأنصارى واليا لعلى فخاف وخرج عنها ثم سار على من المدينة بعد أن استعمل عليها

سهل بن حنيف أخا عثمان وبعث ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة بين يديه يستنفران الناس ثم إنه وصل إلى البصرة .

وكان قد خرج منها قبل قدومه إليها حكيم بن جبلة العبدى في سبع مائة وهو أحد الرؤوس الذين خرجوا على عثمان كما سلف فالتقى هو وجيش طليحة والزبير فقتل الله حكيما في طائفة من قومه . وقتل مقدم جيش الآخرين أيضا مجاشع بن مسعود السامى ثم اصطلحت الفئتان، وكفوا عن القتال على أن يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والصلاة وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاء من البصرة حتى يقدم على رضى الله تعالى عنه .

وقال عمار لأهل الكوفة:

(أما أنا والله إنى لا علم أنها - يعنى عائشة - زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتتبعونه أوإياها) تاريخ خليفة بن خياط ١١٠ .

قال سعد بن جبير: «تاريخ خليفة بن خياط» .

كان مع على يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان . رواه جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد .

وقال المطلب بن زياد عن السدى:

(شهد مع على يوم الجمل مائة وثلاثون بدريا وسبع مائة من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتل بينهما ثلاثون ألفا لم تكن مقتلة أعظم منها) - تاريخ خليفة بن خياط -

وقال سلمة بن كهيل:

فخرج من الكوفة ستة آلاف فقدموا على على بذى قار فسار في نحو

عشرة آلاف حتى أتى البصرة . تاريخ خليفة بن خياط ١١٠ .

وقال أبو عبيدة:

كان على خيل على يوم الجمل عمار، وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر الصديق .

(شقيق السيدة أم المؤمنين عائشة)، وعلى الميمنة علياء بن الهيثم السدوسى ، ويقال: عبد الله بن جعفر ويقال: الحسن بن على وعلى الميسرة الحسين بن على وعلى المقدمة عبد الله بن عباس ودفع اللواء إلى ابنه محمد ابن الحنفية .

وكان لواء طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى الميمنة عبد الله بن عامر بن كريز وعلى الميسرة مروان بن الحكم

وكانت الوقعة يوم الجمعة خارج البصرة عند قصر عبيد الله بن زياد (نساء النبى - الإمام محمد متولى الشعراوى ص ١٧٤) .

وقال أبو اليقظان (تاريخ خليفة بن خياط ١١١):

خرج يومئذ كعب بن سور الأزرى في عنقه المصحف ومعه ترس فأخذ بخطام جمل عائشة فجاءه سهم عرب فقتله .

وقال محمد بن سعد:

وكان كعب قد طين عليه بيتا، وجعل فيه كوة يتناول منها طعامه وشرابه اعتزالا للفتنة فقيل للسيدة عائشة: إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحد فركبت إليه فنادته وكلمته فلم يجبها فقالت:

ألست أمك ؟ ولى عليك حق فكلمها .

فقالت: إنما أريد أن أصلح بين الناس، فذلك حين خرج ونشر المصحف ومضى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه فجاءه سهم فقتله (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ٩٣٠٩٢)

وقال حصين بن عبد الرحمن: «قام كعب بن سور فنشر مصحفا بين الفريقين، ونشدهم الله والإسلام فى دمائهم فمازال حتى قتل» . المصدر السابق

وقال غيره:

اصطف الفريقان وليس لطلحة ولا لعلى رأسى الفريقين قصد في القتال بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب وثارت النفوس **وظل طلحة يقول:**

(يا أيها الناس أنصتوا) والفتنة تغلى فقال: (أف فراش الناس وذئاب طمع) وقال (اللهم خذ لعثمان منى اليوم حتى ترضى. إنا داهنا في أمر عثمان. كنا أمس يدا على من سوانا وأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان منى في أمر عثمان مالا أى كفارته إلا بسفك دمى وبطلب دمه).

وروى قتادة عن الجارود بن أبى سبرة الهذلى وقال: (نظر مروان بن الحكم إلى طلحة يوم الجمل، فقال: لا أطلب ثأرى بعد اليوم فرمى طلحة بسهم فقتله) . . . . . تاريخ خليفة بن خياط ١١١ .

وقال قيس بن أبى حازم:

(رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم. فوقع في ركبة. فمازال يسح حتى مات).

وفى بعض طرقة: رماه بسهم - **وقال:**(هذا ممن على عثمان) .

(رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى- ٣/ ٣٢٣) .

وعن يحيى بن سعيد الأنصارى: .

عن عمه . إن مروان رمى طلحة . والتفت إلى أبان بن عثمان . وقال (قد كفيناك بعض قتلة أبيك) (تاريخ خليفة بن خياط ١١١) .

وروى زيد بن أبى أنيسة عن محمد الأنصارى عن أبيه أن عليا قال:

(بشروا قاتل طلحة بالنار)

حدثنا روح بن عبادة:

قال: حدثنا أبو نعامة العدوى قال: حدثنا حميد بن هلال عن حجير ابن الربيع أن عمران بن حصين أرسله إلى بنى عدى أن اتهم فأتاهم فقال:

«يقرأ عليكم السلام ويقول: إنى لكم ناصح ويحلف بالله لأن يكون عبدا مجدعا يرعى فى رأس جبل حتى يموت أحب إليه من أن يرمى فى واحد من الفريقين بسهم فأمسكوا فداكم أبى وأمى» .

فقالوا: دعنا عنك فإنا والله لاندع ثقل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغزوا يوم الجمل فقتل خلق حول عائشة يومئذ سبعون كلهم قد جمعوا القرآن ، ومن لم يجمع القرآن أكثر .

وعن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عم له قال:

لما كان يوم الجمل نادى على في الناس:

(لا ترموا أحدا بسهم وكلموا القوم فإن هذا مقام من فلح يوم القيامة) .

قال: (فتوافينا حتى أتانا حر الحديد ثم إن القوم نادوا بأجمعهم بالثأر لعثمان).

قال: وابن الحنفية أمامنا رتوه (خطوة) معه اللواء فمد على يديه وقال: «اللهم أكب قتلة عثمان على وجوههم».

ثم إن الزبير قال لأساورة معه:

«ارموهم ولا تبغلوا وكأنه إنما أراد أن ينشب القتال فلما نظر أصحابنا إلى النشاب لم ينتظروا أن يقع إلى الأرض وحملوا عليهم فهزمهم الله ورمى مروان طلحة بسهم فشك ساقه بجنب فرسه».

وعن أبي جرو المازني قال: شهدت عليا والزبير حين تواقفا فقال له علي: «يا زبير انشدك الله».. أسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟».

قال الزبير: (نعم ولم أذكر إلا في موقفي هذا) ثم انصرف وقال شريك عن الأسود بن قيس:

حدثني من رأى الزبير يوم الجمل وناداه علي «يا أبا عبد الله فاقبل حتى التقت أعناق دوابهما».

فقال: (أنشدك بالله أتذكر يوم كنت أناجيك فأتانا الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

فقال «تناجيه فوالله ليقاتلنك وهو لك ظالم».

قال: فلم يعد أن سمع الحديث فضرب وجه دابته وانصرف

وقال هلال بن خباب فيما رواه عنه أبو شهاب الحناط وغيره عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال يوم الجمل للزبير:

يا ابن صفية هذه عائشة تملك طلحة فأنت على ماذا تقاتل قريبك عليا؟ فرجع الزبير فلقيه ابن جرموز فقتله .

وقال الحسن البصرى عن قيس بن عباد قال: قال على عن يوم الجمل:

«يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا قال: يا بنى لم أر أن الأمر يبلغ هذا» .

وقال ابن سعد:

أن محمد بن طلحة تقدم فأخذ بخطام الجمل فحمل عليه رجل فقال محمد: أذكركم «حم» فطعنه فقتله ثم قال في محمد بن طلحة:

وأشعث قوام بآيات ربه ::: قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه ::: فخر صريعا لليدين وللفم

يذكرنى «حم» والرمح شاجرا فهل تلا «حم» قبل التقدم.

على غير شيء غير أن ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يندم

فسار على ليلته في القتلى معه النيران فمر بمحمد بن طلحة قتيلا فقال يا حسن محمد السجاد ورب الكعبة ثم قال: أبوه صرعه هذا المصرع ولولا بره بأبيه ما صرع .

فقال الحسن:

ما كان أغناك عن هذا .

فقال: مالى ومالك يا حسن .

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥٥-٥٤ / ٥ .

وقيل: «إن أول قتيل كان يومئذ مسلم الجهنى أمره على فحمل مصحفا فطاف به على القوم يدعوهم إلى كتاب الله» .

فقيل: «وقطعت يومئذ سبعون يدا من بنى ضبة بالسيوف.... صار كلما أخذ رجل بخطام الجمل الذى لعائشة قطعت يده فيقوم آخر كأنه ويرتجز إلى أن صرخ صارخ أعقروا الجمل فعقره رجل مختلف فى اسمه وبقى الجمل والهودج الذى عليه كإنه قنفذ من النبل، وكان الهودج ملتبسا بالدروع وداخله أم المؤمنين، وهى تشجع الذين حول الجمل فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم إنها رضى الله تعالى عنها ندمت وندم على رضى الله تعالى عنه لأجل ما وقع» سيرة الخلفاء الراشدين من سير أعلام النبلاء الذهبى .

وأورد الذهبى أن عائشة جعلت تقول:

(أن عثمان قتل مظلوما ، وأنا أدعوكم إلى الطلب بدمه وإعادة الأمر شورى) .

*****

كلمة السيدة عائشة يوم وقعة الجمل

في هذا الموقف الحرج ألقت أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها كلمة قالت فيها:

(إن لى عليكم حق الأمومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى إلا من عصى ربه ومات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين حاقنى ودافنتى وأنا إحدى نسائه في الجنة له ادخرنى ربى وسلمنى من كل بضع . . .

وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى رخص لكم في صعيد الإيواء ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثانى اثنين إذ هما في الغار، وأول من سمى صديقا مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راضيا عنه وطوقه الأمانة ثم اضطرب حبل الدين فمسك بطرفيه وزين له أفياءه فوقم النفاق، وغاض نبع المودة وأطفأ ماحش اليهود. وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة، وتسمعون الصيحة؛ فرأب الثانى وأودم العطلة وانتاش من المهواة؛ واجتحى دفين الداء حتى أعطى الوارد؛ وأورد الصادر؛ وعلى الناهل؛ فقبضه الله واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين؛ وانتظمت بضاعتكم بحبله..).

ثم ذكرت تولية عمر بن الخطاب وأثنت عليه خيرا وقالت:

(أنها ما جاءت تلتمس إثما ولا لتدلس فتنة).

وذكرت أن قولها كان صدقا وعدلا وإعذارا... ثم سألت الله أن يصلى على محمد، وأن يخلفه في المسلمين بأفضل خلافة المرسلين.

قال الذهبي:

إن عليا رضى الله عليه وقف على خباء عائشة يلومها على مسيرها فقالت:

«يا ابن أبى طالب ملكت فاسجح» «أى قدرت فسهلا وأحسن العفو» فجهزها إلى المدينة وأعطاها اثنى عشر ألفا فرضى الله تعالى عنه وعنها) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٧٨ .

هذا التزاما منه رضى الله تعالى عنه بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد روت أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت:

(ذكر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خروج بعض أمهات المؤمنين وضحكت عائشة)

فقال لها:

(انظرى يا حميراء ألا تكوني أنت ثم التفت إلى على وقال: يا على إن وليت من أمرها فارفق بها) . رواه البيهقى دلائل النبوة ٦/ ٤١١ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أيتكن صاحبة الجمل الأديب (الكثير دبر الشعر) يقتل حواليها قتلى كثيرون وتنجو بعد ما كادت» رواه البزار في مجمع الزوائد .

وكان عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه وهو ممن كانوا مع على رضى الله تعالى عنه يقول على المنبر:(أنها لزوجة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة) أخرجه البخارى (٣٧٧٢) والترمذى (٣٨٨٩) .

وفى الصحيح أن رجلا نال من عائشة رضى الله تعالى عنها عند عمار فقال: (أغرب مقبوحا أتؤذى حبيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟) رواه

الترمذى ٣٨٨٨ .

ثم رجعت السيدة أم المؤمنين عائشة وتقول بعض الروايات:

إنها أسفت على ذهابها نحو البصرة وتلقت بعد رجوعها إلى المدينة النصيحة والعتاب ومعارضة قوية فلم تفارقها ثقتها بنفسها ولا بمكانتها الخالدة وكانت تجيب بالنثر إذا وجهوا إليها النثر ، وبالشعر إذا سمعت أنهم قالوا فيها شعرا ، وقد بلغها أن الأحنف بن قيس خاطبها بأبيات:

قال فيها:

فلو كانت الأكنان دونك لم يجد ::: عليك مقالا ذو أذاه يقولها

فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: (إلى الله أشكو عقوق أبنائى) ثم أجابته .

بقولها:

بنى أتعظ أن المواعظ سهلة ::: ويوشك أن تكتان وعرا سبيلها
ولا تنسين في الله حق أمومتى ::: فإنك أولى الناس أن لا تقيلها
ولا تنطقن في أمة لى في الخنا ::: حنيفية قد كان بعلى رسولها

وقد يلاحظ في تصرفاتها وفى كلامها وشعرها تأكيدها لمنزلتها من الأمة فهى أم المؤمنين ولها عليهم جميعا حق الأمومة ألا وهى البر والإكرام .

اعتزلت أم المؤمنين الفتنة وقرت في بيتها .

وعن ابن مليكة قال:

جاء بعلي بن أمية إلى عائشة وهى في الحج .

فقال: «قد قتل خليفتك الذى كنت تحرضين عليه» .

قالت: (برئت إلى الله من قاتله) .

وتمثلت بقول المعفر الباقلى:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ::: كما قر عينا بالآيات المسافر

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤٠٨ .

وهى تعنى أن عليا رضى الله تعالى عنه استراح من متاعب الناس وقدم إلى البر بالعمل المبرور .

وفى عهد معاوية تقدمت بأم المؤمنين عائشة السن وحنكتها التجارب وأسعفها علمها وذكاؤها فعاشت حياة مطمئنة سعيدة في بيتها ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معها في البيت إلى أن التحقت به .

وروى أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاء يستأذن على عائشة وهى **في مرض الموت قال:**

فجئت وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن فقال هذا ابن عباس يستأذن .

قالت: دعنى من ابن عباس لاحاجة لى به ولا بتزكيته فقال عبد الله: يا أمه . . إن ابن عباس من صالحى بنيك يودعك ويسلم عليك .

قالت: فائذن له إن شئت قال: فجاء ابن عباس فلما قعد قال: أبشرى فوالله ما بينك وبين أن تفارقى كل نصب وتلقى محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن تفارق روحك جسدك .

قالت: أيها يا ابن عباس .

قال: كنت أحب نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن يحب إلا طيبا ؛ سقطت قلادتك يوم الأبواء وأصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ليلقطها فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ (النساء ٤٣) .

فكان ذلك من سببك وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات ، فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تتلى فيه آناء الليل والنهار .

قالت: (دعنى عنك يا بن عباس فوالله لوددت أنى كنت نسيا منسيا) .

رواه أحمد في المسند والبخارى مختصرا والحاكم وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٥٧ .

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة قال:

حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة الله المبرأة من فوق سبع سموات فلم أكذبها الحلية ٢/ ٤٤ .

وسئل هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟

قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال عطاء بن أبى رباح:

كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة .

وقال الزهرى:

لو جمع علم عائشة على علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل (رواه الطبرانى في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك) .

وقد روى لها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألف ومائتا حديث وعشرة أحاديث .

اتفق البخارى ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثا وانفرد الأول بأربعة وخمسين حديثا والثانى بمائة وسبعين .

وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وقال عنها أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه:

ما أشكل على أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما . . . رواه الترمذى ٣٨٨٣ .

قال ابن حجر في الإصابة:

روت عائشة عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكثير الطيب وروت أيضا عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير وجذامة بنت وهب وحمزة بن عمرو .

وروى عنها من الصحابة:

عمرو وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس وربيعة بن عمرو الجرشى والسائب بن زيد وصفية بنت شيبة وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحارث بن نوفل وغيرهم .

وروى عنها آل بيتها:

أختها أم كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وابن أخيها القاسم وعبد الله بن محمد بن أبى بكر وبنت أخيها حفصة وأسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وحفيدة عبد الله بن أبى عتيق محمد بن عبد الرحمن وابنا أختها عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أسماء عبادا وحبيبا ولدا عبد الله بن الزبير وحفيظ عبد الله عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير وبنت

أختها عائشة بنت طلحة من أم كلثوم بنت أبى بكر ومواليها أبو عمر وذكوان وأبو يونس وابن فروخ .

ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس ومسروق وعبد الله بن حكيم والأسود بن يزيد وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو وائل وآخرون كثيرون .

وقال الذهبي:

(مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث) .

اتفق لها البخارى ومسلم على . مائة وأربعة وسبعين حديثًا وانفرد البخارى بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين (سير النبلاء ٢/ ١٣٩) .

روى ابن أبى خيثمة عن عروة بن الزبير أن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها قالت له: (إذا أنا مت فادفنى مع صواحبى بالبقيع) .

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٧٧٥٧٤ .

وكانت وفاتها في رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثرين سنة ثمان وخمسين من الهجرة وصلى عليها أبو هريرة خليفة مروان بالمدينة .

يتضح من سياق ما تقدم أن الله عز وجل هو سبحانه وتعالى الذى أمر وحيا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحكمة أرادها جل وعلا بالزواج من أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها - فقد روى ابن عساكر بسنده:

(لما ماتت خديجة حزن عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنا شديدا فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال: يا رسول الله هذه تذهب ببعض حزنك وأن في هذه خلفا من خديجة ثم ردها) .

فكان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يختلف إلى بيت أبى بكر ويقول: «يا أم رومان استوصى بعائشة خيرا واحفظينى فيها» إلى آخر الحديث .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها قالت

قال لى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (أريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين) .

وفى لفظ (ثلاث ليال) جاءنى بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك ، فإذا هى أنت فأقول أن يكن من عند الله يمضه .

وروى الترمذي عن أم المؤمنين عائشة عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال:

جاءنى بك جبريل في خرقة خضراء .

فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة فلقد أراد الله عز وجل أن يمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزوجته أم المؤمنين عائشة في حديث الإفك بأقسى تجربة إنسانية يمكن أن يمر بها إنسان أو أسرة أو عائلة أو مجتمع من المجتمعات ليشكلا هما ومن حولهما من أهل وأقارب وأصحاب وأتباع للإنسانية جميعا قدوة في السلوك الإنسانى ، وكيفية التصرف خلال الأزمات والشدائد ، ولكى تستشف منها الأمة الإسلامية من بعدهما على مر العصور والأجيال الكثير من الحكم والمواعظ والعبر والسلوكيات المشروعة وغير المشروعة وقد أورد الحافظ ابن حجر . . . .

- فتح البارى ٩/ ٤٢١ - ٤٢٤- وغيره الكثير منها كما قدمنا من قبل .

كما قد نرى أن من حكمة زواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم المؤمنين عائشة بأمرمن الله عز وجل ليظل بيت النبوة مفتوحا بعد وفاة الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوالى خمسين عاما مقصدا لجميع المسلمين ومنارة يستنير بها أهل العلم والفقه بما كانت تتميز به رضى الله تعالى عنها من سعة كبيرة في العلم والحفظ والفقه والحديث فهى كما قال عطاء بن أبى رباح:

(كانت أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة وكما أكد الزهرى بأنه لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل).

وقال عنها أبو موسى الأشعرى:

(ما أشكل على أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما وغيرهم كثيرون فلقد من الله سبحانه وتعالى عليها بسعة في العلم والحفظ ليس في الفقه والحديث فقط بل أيضا في الأدب وبلاغة الخطاب - وكانت شاعرة كبيرة تحفظ عشرات الآلاف من أبيات الشعر وحسبها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقدرفيها كل ذلك حتى أنه قال: خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء).

ورغم أن تجربة وقعة الجمل كانت تجربة قاسية أسفت عليها لخروج الأمر والأحداث عما كانت تتوقعه.. إلا أن هذه التجربة أعطت مشروعية مشاركة المرأة المسلمة العالمة الفقيهة بالرأى فيما يجرى حولها من أحداث بل ومشاركتها في سريان الأحداث ذاتها هذا في الوقت التى كانت تغط فيه المرأة غير المسلمة آنذاك في سبات الجهالة والتعصب.

*****

أم المؤمنين حفصة رضى الله تعالى عنها
الستر الرفيع الصوامة القوامة

هى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وأمها زينب بنت مظعون أسلمت حفصة ، وهاجرت مع زوجها خميس بن حذافة وقد مات زوجها خميس بالمدينة بعد شهوده بدرا مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أثر جراحات أصابته يوم بدر فلما تأيمت ذكرها عمر لعلى وأبى بكر وعثمان فلم يجبه أحد منهم فشكا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله عرضت على عثمان حفصة فأعرض عنى فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان أم كلثوم . أخرجه في الإصابة ٥٧٨ .

وتزوج عثمان أم كلثوم بعد رقية وتزوج عليه الصلاة والسلام حفصة ثم إنه عليه الصلاة والسلام طلقها تطليقة واحدة فأتاها خالاها قدامة بن مظعون وعثمان بن مظعون فبكت وقالت:

والله ما طلقنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شبع .

رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨ .

والشبع هو البغض أو النقص ثم رجعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نزل عليه الوحى راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وزوجتك في الجنة .

أخرجه البخارى ٤٩١٣ من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

وروى إنه لما بلغ خبر طلاقها أباها عمر حثا على رأسه التراب .

وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا .

فنزل جبريل من الغد وقال للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الله يأمرك أن ترجع حفصة رحمة لعمر . رواه الطبرانى في الكبير ٢٣/ ٧ .

قال الذهبى:

الستر الرفيع بنت أميرالمؤمنين أبى حفصة عمر بن الخطاب تزوجها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمى أحد المهاجرين في سنة ثلاث من الهجرة .

وقال الشنقيطي:

إنها من خيرة أمهات المؤمنين عرفت بكثرة الصوم والصلاة والأمانة .

الإصابة ٧/ ٥٨٢

وعدت السيدة حفصة مع السيدة عائشة من حفظة القرآن الكريم وعندها كان المصحف الذى كتبه- بأمر من أبى بكر وعمر- زيد بن ثابت الأنصارى الذى يقول فيه **حسان بن ثابت:**

فمن للقوافى بعد حسان وابنه ::: ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

وكانت حفصة أيضا من اللواتى روين عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الإصابة (٧ / ٥٨٢) ولها مع رسول الله قصة مشهورة نزل فيها القرآن:

فلقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا على إرضائها وأسر إليها حديثا قيل عنه إنه في تحريم امرأته مارية ورضيت حفصة بالحديث، وأخبرت به صديقتها عائشة رواه الطبرانى في الأوسط ١٦٤ .

ولكن الله كان لهما بالمرصاد فأمره ألا يحرم ما أحل الله له وأخبره

العليم الخبير بما كانت تتحدث حفصة وعائشة وأمرهما بالتوبة النصوح وحذرهما إن عادتا إلى التظاهر على النبى في شأن زينب بنت جحش والعسل الذى شرب عندها بالخروج من بيوت النبى وهو أشد العقاب .

وتقول بعض الروايات كما تقدم ذكره أن طلقها وأمره جبريل وحيا من الله عز وجل أن يراجعها مرضاة لعمر وتقدير لعبادتها . الاستيعاب (١٨١٢) الإصابة (٧/ ٥٨٢).

وسمع عمر رضى الله تعالى عنه قصة حفصة وأقسم لو أمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضرب عنق حفصة لفعل غير أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد فحفصة ثابت توبة نصوحا ورضيت بالله ورسوله .

ويقص عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف كان يحاول أن يعرف ماذا جرى في بيوت النبى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: إنه كان يسكن قرب المدينة وله صديق من الأنصار وكل منهما يبيت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة ويأتى لصاحبه بأخباره وما شعر عمر حتى أتى صاحبه يدق عليه دقا عنيفا فسأله مذعورا ماذا حدث هل غزا المدينة الغسانيون الذين كان المسلمون يتخوفون منهم آنذاك ، فقال له صاحبه: لا ، الأمر أشد من ذلك رسول الله طلق نساءه .

فتراجع عمر وقال:

(خسرت حفصة) ثم ذهب من توه إلى المدينة وصلى الصبح مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد الصلاة انفرد النبى في حجرته واستأذن عمر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجبه غلام رسول الله فرجع إلى المسجد ، ولكنه لم يستطع الجلوس فرجع واستأذن من جديد ولكنه لم يجد جوابا فرجع إلى المسجد ثم ما لبث أن أتاه غلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤذنا له

بالدخول ودخل عمر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجده مضطجعا على الأرض ولم يستطع عمر أن يجلس فبقى واقفا **وقال:** أطلقت نساءك يا رسول الله فأجابه: بلى ، فهدأ روع عمر ثم بقى واقفا مكانه وبعد ذلك **قال:**

لقد كنا يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة ونحن نغلب نساءنا ولما جئنا المدينة وجدنا الأنصار نساءهم تغلبهم فأفسدوا علينا نساءنا .

فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستطاع عمر أن يدنو منه قليلا **وقال: «يا رسول الله قلت: لحفصة أن لا تغتر بما تفعله عائشة، لأن عائشة أجمل منها وأضوأ»** فابتسم النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضا ، واستطاع أن يجلس وأن يتناول أطراف الحديث مع رسول الله وعرف أن حفصة لم تخسر بل ستظل في بيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقد كانت رضى الله تعالى عنها من القانتات لله ورسوله اللواتى سيجدن أجورهن مرتين فهى أم المؤمنين وبنت عمر بن الخطاب .

وتوفيت أم المؤمنين حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة في خلافة معاوية وبكى عليها مروان بن الحكم أميرالمدينة وحمل سريرها بعض الطريق ثم حمله أبوهريرة إلى قبرها ، فنزل في قبرها عبد الله وعاصم أبناء عمر رضى الله تعالى عنهم وسالم وعبد الله وحمزة أبناء عبد الله بن عمر وقد بلغت ستين سنة وأوصت إلى عبد الله أخيها بما أوصى إليها أبوها عمر وتصدقت بمال لها وقفته بالغابة .

ومروياتها رضى الله عنها سبعون حديثا اتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وانفرد مسلم بستة والباقية في سائر الكتب .

وروى عنها أخوها ابن عمر وحارثة بن وهب وشتير بن شكل والمطلب بن أبى وداعة ، وعبد الله بن صفوان الجمحى وآخرون .

ويتضح من سياق ما تقدم بعض من ملامح حكمة إلهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للزواج من أم المؤمنين حفصة رضى الله تعالى عنها فلقد أمره عز وجل عند حدوث أول طلاق بينهما أن يراجعها لسببين رئيسين هما:

- كونها مؤمنة تقية صوامة قوامة .

- رحمة بأبيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلقد كان من خيرة صحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمنين المهاجرين المجاهدين في نشر ودعم الإسلام والرسالة المحمدية في أرجاء المعمورة .

هذا ولقد كان إلهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين بعد تأيمها يحوى درسا كبيرا وأسوة للمؤمنين في أمته يتأسون بها من مفادها:

١- ألا تترك المؤمنة المتعبدة بعد تأيمها خاصة إذا كانت في ريعان شبابها دون زواج وأن يكون اختيارها للزواج مقدمًا ومفضلاً على غيرها من النساء وخاصة إذا كانت من أسرة طيبة صالحة .

٢- مسارعة أهل المؤمنة المتعبدة بعد تأيمها إلى محاولة تزويجها من رجل طيب صالح لتكون في كنفه يعينها على استمرارية تعبدها والثبات على قيمها ومبادئها وتقواها لله جل وعلا .

كما يتضح من سياق ما تقدم من قصة أم المؤمنين حفصة مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتى أدت إلى غضب الرسول من أم المؤمنين حفصة والسيدة أم المؤمنين عائشة بل وآمر المولى عز وجل لهما بالتوبة النصوح وتحذيرهما إن عادتا إلى التظاهر على النبى في شأن أم المؤمنين زينب بنت جحش بالخروج من بيت النبى وهو أشد العقاب ملامح درس كبير للمجتمعات الإسلامية وللزوجة المسلمة المؤمنة على وجه الخصوص مفاده:

١- وجوب أن تكون الزوجة دائما أمينة على أسرار بيتها وما يسره

إليها زوجها وألا تفشى بذلك لأى إنسان آخر حتى ولو كان من أقرب الناس إليها .

٢- لا ينبغى لأى إنسان مهما كان ورعه وتقواه وصلاحه وقوة إيمانه أن يحرم على نفسه ما أحله الله له إمعانا في الورع والتقوى .

٣- إنه مهما حدث خلاف داخل الأسرة المسلمة فإنه لا ينبغى أن يتجاوز ذلك حدود الحوار الهادئ العاقل المتوازن والاحترام المتبادل وما أتى به الإسلام من أخلاقيات وفضائل وسلوكيات في إطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤- وأن تكون كلمة الله وأمره هى العليا في حسم أى خلاف ، وأن تكون سلوكيات الرسول فيما مر به من تجارب إنسانية وابتلاءات أسوة حسنة للمؤمنين من أمته .

٥- أن يكون لاختيار الزوجة رغبة الاستمرار في الحياة الزوجية عن طواعية كاملة أو التسريح بإحسان الاعتبار الكامل مهما كان قدر زوجها وعلو منزلته وسموها .

* * * * *

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضى الله تعالى عنها
أم المساكين

هى زينب بنت خزيمة بن الحارث تزوجها عليه الصلاة والسلام في رمضان من السنة الثالثة من الهجرة تكنى أم المساكين لكثرة إطعامها إياهم . . .

ولم تلبث عند الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا شهرين أو ثلاثة أشهر وتوفيت في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: مكثت عنده ثمانية أشهر في الإصابة ٧/ ٦٧٢) .

فكانت هى وخديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنهما اللتين توفيتا في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أزواجه أمهات المؤمنين

قال الشنقيطى:

هى زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن عبد المطلب كانت عند ابن عمها جهم بن عمرو بن الحارث ثم استشهد عندها عبيدة بن الحارث يوم بدر، وذلك في مبارزة مشهورة لا تزال تتغنى بأمرها الولائد إلى اليوم .

وبعد عبيدة دخلت زينب في بيوت النبى فأجرها الله في مصيبتها ورزقها خيرا من عبيدة وقد قيل: أنها هى التى وهبت نفسها للنبى وأنزل فيها القرآن كما قيل أنها ابنة عم (ميمونة) وبعض المفسرين يقول: إن الواهبة هى أم شريك الأنصارية . تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٠ .

ومن الجائز أن يكن كلهن وهبن أنفسهن كما أن التنكير في لفظ الآية قد يدل على التعدد؛ مع أن الذى شهده العلماء أنها خولة بنت حكيم (ابن

كثير ٣/ ٤٨٠) وما لبثت زينب بنت خزيمة أن أجابت داعي ربها فكانت هي وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد اللتين توفيتا في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أزواجه أمهات المؤمنين فكان لهما حسن الحظ أن كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيدا على حياتهما الإسلامية ؛ ولقيت زينب الله وهو عنها راض ورضى الله عنها وصلى عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن الكلبي:

كانت عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها ، فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، ثم خلف عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يتزوج أختها لأمها ميمونة .

وقال ابن أبي خيثمة:

كانت تسمى أم المساكين في الجاهلية وفى الإسلام وأرادت أن تعتق جارية لها سوداء فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إلا تفدين أخاك أو أختك من رعاية الغنم . . . . . رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى .

وتتضح ملامح حكمة إلهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بعد تأيمها باستشهاد زوجها هو تكريم الله عز وجل لها لكونها مؤمنة صابرة متعبدة عطوفة على المساكين تبذل كل ما في وسعها رغم عدم ثرائها في إطعامها إياهم عملا .

بقول الله جل وعلا في سورة البلد: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (سورة البلد ١١ - ١٦) .

وليكون زواج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها أسوة لأمته بأولوية اختيار هذا النوع من النساء كزوجات للمؤمنين وألا يتركن بعد تأيمهن وحدهن في

مواجهة مصاعب الحياة، بل ينبغى أن يتم الإسراع بتزويجهن وأن يكن في كنف رجال مؤمنين يعينوهن على تكملة أداء رسالتهن وتعبدهن حبا في الله وأسوة برسوله، فلقد كانت أم المؤمنين زينب من فضليات النساء في الجاهلية وفى الإسلام حتى كانوا يدعونها كما تقدم ذكره بأم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم، فلم يرعها المولى عز وجل أرملة بعد استشهاد زوجها تقاسى الذل الذى كانت تجير منه الناس، فكأفاها بأن ألهم رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج منها ولتتأسى بذلك أمته.

*****

أم المؤمنين أم سلمة رضى الله تعالى عنها
(لو لم يكن من فضلها إلا مشورتها على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحلق يوم الحديبية لكفاها)

هى هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى وكانت متزوجة قبل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبى سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ، وكانت هى وزوجها المذكور أول من هاجر إلى أرض الحبشة فولدت له بها زينب ، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل: هى أول ظعينة (المرأة في الهودج) دخلت المدينة مهاجرة .

قال الشنقيطى:

اشتهر بنو مخزوم بالرأى والشجاعة وشاركتهم أم سلمة في رأيهم وشجاعتهم وفازت عليهم بدخولها في بيوت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونرى شجاعتها في كونها أرادت أن تهاجر وحدها من مكة إلى المدينة ليس معها إلا ابنها سلمة بن أبى سلمة وهو يومئذ صبى ، وذلك إنه لما أزمع أبو سلمة الخروج مهاجرا إلى الله ورسوله حملها على جمل هى وابنها ، ولكن لما رآه بنو المغيرة منعوه ، وحين غلبهم على أمره تركوه يذهب وحده وأخذوا منه زوجه أم سلمة وذهب أبو سلمة وأتى بأهله من بنى عبد الأسد بن هلال بن عبد الله وتزعوا من بنى المغيرة سلمة ابن أخيهم وحبست أم سلمة عند أهلها بنى المغيرة وفرق بينها وبين أبنها وزوجها فمكثت قريبا من سنة تخرج كل غداة إلى الأبطح فما تزال تبكى حتى المساء .

ثم رق لها بعض أهلها وأذنوا لها بالهجرة وذهبت تقصد المدينة وحدها

وتتوسل أن تبلغ بمن تلقى في الطريق وتصادف في سبيلها عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار .

فسألها عن أمرها ولما عرف أبت له مروءته أن يتركها تضيع فرافقها وسار بها إلى المدينة مرافقة الكريم الأمين .

قيل في السيرة الشامية:

مات زوجها أبو سلمة سنة أربع شهد بدرا وأحدا ورمى به بسهم في عضده ، فمكث شهرا يداويه ، ثم برىء الجرح ، وبعثه عليه الصلاة والسلام هلال المحرم وبعث معه مائة وخمسين رجلا إلى قطن - جبل - نجد - فغاب تسعا وعشرين ليلة ؛ ثم رجع إلى المدينة فانتفض جرحه فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع ، فاعتدت أم سلمة وحلت لعشر بقين من شوال من السنة المذكورة .

وكانت أم سلمة سمعت منه عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما من مسلم تصيبة مصيبة فيقول: اللهم أجرنى في مصيبتى وأخلف لى خيرا منها. إلا أخلف الله له خيرا منها**» . فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة ، ثم أنى قلتها فأخلف الله لى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجة مسلم ٨١٩ / ٣ .

وروى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت لأبى سلمة رضى الله تعالى عنه ، بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها . وهو في أهل الجنة ثم لم تتزوج . ألا جمع الله بينهما في الجنة فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدى ولا أتزوج بعدك . . .

قال: أتطيعينى ؟ **قالت:** نعم .

قال: إذا مت تزوجى . (اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا

منى) . لا يحزنها ولا يؤذيها . فلما مات . قلت: من خير من أبى سلمة؟

فما لبثت . وجاء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها . أو ابنها - فقالت أرد على رسول الله . أو أتقدم عليه بعيالى . ثم جاء الغد وخطب .

قيل: لما مات زوجها أبو سلمة خطبها عمر رضى الله تعالى عنة فأبت فأرسل إليها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ . فقالت مرحبا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ . إن في خلالا ثلاثا: أنا امرأة شديدة الغيرة . وامرأة مصبية (ذات صبيان) وأنا امرأة ليس هنا أحد من أوليائى فيزوجنى .

فأتاها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «أما ما ذكرت في غيرتك فإني أدعو الله أن يذهبها عنك. وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم. وأما ما ذكرت من أوليائك فما أحد منهم يكرهنى» .

فقالت لابنها عمر: زوجنى عليه . (رواه أحمد في المسند ٤ / ٢٨ والنسائى في المجتبى ٣٢٥٤) .

وقيل: أنه بعدما دعا الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عز وجل بإذهاب غيرتها أصبحت أم سلمة في النساء كأنها لم تكن منهن . ولا تجد ما يجدن من الغيرة .

قال أنس: إن النبى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم . (رواه الطبرانى في الكبير٣٢) .

وروى أنه: لما تزوجها نقلها إلى بيت زينب بنت خزيمة بعد موتها . فدخلت فرأت جرة فيها شعير ورحى وبرمه ، فطحنته ثم عجنته ثم عصرته في البرمة فأدمته بإهالة . (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٩٢) .

وروى عمر الملا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة يبدأ بأم مسلمة لأنها أكبرهن يختم بعائشة .

وروى أبو الحسن الحليمى عن عمرو بن شبيب أنه دخل على زينب بنت أبى سلمة فحدثته أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند أم سلمة فجعل حسنا في شق وحسينا في شق وفاطمة في حجره .

وقال: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (سورة هود ٧٣) .

وأنا وأمى أم سلمة جالسان فبكت أم سلمة .

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنك من أهل البيت .

وروى الإمام أحمد عن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم .

قالت: «لما تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم سلمة» .

قال: «يا أم سلمة قد أهديت إلى النجاشى حلة وأواقى مسك ولا أرى النجاشى إلا قد مات ولا أرى هديتى إلا مردودة فهى لك» .

فكان كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وردت إليه هديته فأعطى كل واحدة منهن أوقية وأعطى أم سلمة المسك والحلة وراه أحمد في المسند ٦/ ٤٠٤ .

وروى عنها أنها قالت:

«يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنفضه لفض الجنابة»؟

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لا.. إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضى الماء فتطهرى» أخرجه مسلم (٣٣٠/ ٥٨).

قال الشنقيطى:

وبعد وفاة أبى سلمة كان لها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل خلف فكانت من أهل مشورته. (أخرجه البخارى ٣/ ١٦٤).

وكانت ممن حمل عنه العلم والحديث كما كانت ممن ثبت معه في المواقف الحرجة أتاه جبريل في بيتها ورأته وظنته دحية الكلبى - الإصابة ٢/ ٣٨٥-

فلقد مرت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقات صعبة في جهاد المشركين، وكان من أصعبها صلح الحديبية، وثقل هذا الصلح على المسلمين وقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد الهدنة مع قريش وقبل أن يرجع عن مكة، وقبل أن يرد عليهم من جاءه من مسلمى مكة ونفرت نفوس كثير من المسلمين من هذا الصلح، ولم يثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الساعة إلا القليل، وكان ممن ثبت معه زوجه أم سلمة بنت أبى أمية ولما انتهى أمر الصلح أمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس أن ينحروا وأن يحلقوا.

أمرهم بذلك ثلاث مرات ولم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة وقص عليها ما لقى من أصحابه قالت له أم سلمة: **«أرى يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تخرج اليهم ولا تكلم أحد منهم ثم تنحر وتدعو حالقك فتحلق»** وخرج عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعل ما أشارت عليه به فنحر وحلق وبادر أصحابه إلى اتباع ما فعل فكان الرأى في هذه المرة ما أشارت به أم سلمة (البخارى ٣/ ٦٤).

وعاشت أم سلمة برهة من الزمن مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيوت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت تتزعم قسما كبيرا منهن وتتوسط إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمورهن، وكانت تسأله عن الفرائض، وتعلم سائليها وبقيت بعده نصف قرن تهدى بهدية وتحدث بحديثه ولم تتدخل في سياسة الحكم فكانت تقول أن جياد النساء غض الأطراف وضم الذيول وأنها لا تهتك حجابا ضربه عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (العقد الفريد ٥/ ٦٢)

وكان من مواليها علماء من أئمة الأمة فمنهم شيبة بن نصاح وأبو ميمونة وهما من قراء المدينة الأعلام وكانا من أشياخ نافع بن أبى نعيم المدنى المقرئ المشهور، الإصابة ٨/ ٤٢٤ .

وقد كان الحسن البصرى ابن مولاة لها وتقول الروايات: (إنه كان عندها صغيرا وإذا خرجت أمه وبكى أخذته وأعطته ثديها فيدر عليه ويرضع منها اللبن يقول الناس: إن فصاحة الحسن البصرى وعلمه الواسع وورعه الشديد كل ذلك كان من بركة لبن أم سلمة، وليس هذا بغريب فطعام الطيبين بطيب وكذلك طعام الطيبات .

وفى رواية يونس بن بكير وغيره عنه: (الإصابة ٨/ ٢٢٢ - ٢٢٥)

(كانت أم سلمة موصوفة بالجمال والعقل البالغ والرأى الصائب وإشارتها على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية، تدل على وفور عقلها وصواب رأيها روى عنها ابناها عمر وزينب وأخوها عامر وابن أخيها مصعب بن عبد الله ومكاتبها نبهان .

مواليها:

عبد الله بن رافع ونافع وسفينة وابنه وأبو كثير وخبرة والدة الحسن البصرى .

وممن يعد من الصحابة: صفية بنت شيبة وهند بنت الحارث الفراسية وقبصة بن ذؤيب وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

ومن كبار التابعين:

أبو عثمان النهرى ؛ وأبو وائل ؛ وسعيد بن المسيب ؛ وأبو سلمة ؛ وحميد ولدا عبد الرحمن بن عوف ؛ وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن ؛ وسليمان بن يسار ؛ وآخرون .

وكان لأم سلمة رضى الله تعالى عنها ثلاثة أولاد: سلمة أكبرهم وعمر وزينب أصغرهم وقد ربوا جميعا في حجر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد زوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلمة لفاطمة ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه .

وعاش سلمة إلى خلافة عبد الملك بن مروان ولم تحفظ له رواية .

أما أخوه عمر بن أبى سلمة فله رواية: وقد توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله تسع سنين ومولده كان بالحبشة واستعمله على رضى الله تعالى عنه على فارس والبحرين وتوفى بالمدينة سنة ثلاث وثمانين هجرية في خلافة عبد الملك .

وأما زينب بنت أبى سلمة فولدت بارض الحبشة وكان اسمها برة فسماها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب ، وقد تزوجها عبد الله بن زمعة الأسود الأسدى وولدت له ، وكانت من أفقه أهل زمانها رضى الله تعالى عنها .

وتوفيت أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين من الهجرة على الصحيح ، واستخلف يزيد سنة ستين- بعد ما جاءها الخبر

باستشهاد الحسين بن على رضى الله تعالى عنه لها من العمر أربع وثمانون سنة على الصواب، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن.

وقد أخرج مسلم ٢٨٨٢ من طريق عبيد الله بن القبطية قال:

(دخل الحارث بن أبى ربيعة وعبد الله بن صفوان، وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين، وكان ذلك في خلافة يزيد بن معاوية وابن الزبير فسألاها عن الجيش الذى يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير).

فقالت. قال: (رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم).

فقلت: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف بمن كان كارها.

قال: (يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته).

وتقول بعض الروايات:

(أنها توفيت عام تسع وخمسين وذلك في عهد معاوية والبعض يرى أنها أدركت خلافة يزيد بن معاوية. وهو الأرجح الذى يزيده حديث الترمذى أنها رأت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وهو متأثر بقتل الحسين ابن على رضوان الله عليهما) في موكب السيرة من ٤٦: ٤٩.

وقال الذهبى:

(عاشت نحوا من تسعين سنة وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشى عليها وحزنت عليه كثيرا ولم تلبث بعده إلا يسيرا وانتقلت إلى رحمة الله).. سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٢.

ومعلوم أن الحسين رضى الله تعالى عنه استشهد لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين على ما جاء في تاريخ خليفة بن خياط .

وروى الحاكم في المستدرك:

إن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أوصت أن يصلى عليها سعيد بن زيد خشية أن يصلى عليها مروان بن الحكم وسعيد هو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

ولما ماتت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله تعالى عنها دفنت بالبقيع وصلى عليها سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه وقيل أيضا أبوهريرة رضى الله تعالى عنه وكان عمرها أربعًا وثمانين سنة على الأرجح . (الإصابة لابن حجر)

هذا ويتضح في سياق ما تقدم أن إلهام الله جل وعلا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين أم سلمة بعد تأيمها باستشهاد زوجها على إثر جرح إصابة يوم أحد يحوى درسا كبيرا وأسوة للمؤمنين في الأمة الإسلامية يتأسون بها من مفادها:

١- ألا تترك المؤمنة بعد تأيمها خاصة إذا كانت على قدر من الجمال وفى ريعان شبابها مع صغارها يواجهون ظروف الحياة وفتنتها وقسوتها دون عائل أو راع مؤمن يعيشون في كنفه ، حتى ولو أن هذه المؤمنة كانت تحب زوجها المتوفى وتجله ، فإن تجنيبها مرارة قسوة الحياة وفتنتها وزينتها وإحتفاظها بإيمانها مقدم على ما سواه .

٢- ألا تترك صغار المؤمن بعد وفاته أو استشهاده عرضة لمواجهة قسوة الحياة والتشريد والضياع ، بل يجب أن يكونوا في كنف عائل مؤمن حفاظا على استمرار تنشئتهم التنشئة الإيمانية الصالحة - فلقد رأينا من سياق

ما تقدم أن صغار أبى سلمة رضى الله تعالى عنه تربوا في حجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكفل الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتزويج سلمة وكان من خيرة شباب المؤمنين بفاطمة ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه وأستعمل على رضى الله تعالى عنه عمرو بن أبى سلمة على فارس والبحرين لفقهه وتقواه وصلاحه كما تزوجت زينب بنت أبى سلمة من رجل صالح من خيرة التابعين هو عبد الله بن زمعة الأسدي وكانت رضى الله تعالى عنها من أفقه أهل زمانها .

٣- أن يسارع المؤمنون القادرون في عرض الزواج على المؤمنة بعد تأيمها حفاظا عليها وعلى صغارها اقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلقد رأينا عرض أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وهما من خيرة الصحابة المقربين والمؤمنين عرضا الخطبة على أم سلمة رضى الله تعالى عنها بعد وفاة زوجها ، ولم تقبل مما يؤكد أيضا على الحرية التامة للمؤمنة أو المسلمة في إختيارمن تتزوجه دون أى مساس بحرية الاختيار .

٤- إن من الدعاء المستجاب للمؤمن أو المؤمنة عندما تواجهه مصيبة ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: أللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها**» .

فلقد روى عن أم سلمة أنها سمعت هذا الحديث من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما مات أبو سلمة قالت: أى المسلمين خير من أبى سلمة؟

فلم يكن يدور بخلدها أبدا أن الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيعرض عليها الزواج منه ولكنها في ذات الوقت كانت تردد الدعاء بأن يأجرها الله في مصيبتها ويخلف لها خيرا منه فأخلف الله عز وجل لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما قد ترى من ملامح حكمة إلهام العليم الخبير سبحانه وتعالى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين أم سلمة ما يلى أيضا: .

٥- إن المتأمل فيما قدمنا من السيرة الذاتية لأم سلمة رضى الله تعالى عنها يبدو له جليا أنها كانت امرأة على قدر كبير من الإيمان والثبات على المبدأ وتتمتع بقوة الشخصية والعقل الراجح وذات فضل ومشورة ولقد رأينا من سياق ما تقدم أنها كانت رضى الله تعالى عنها من أهل مشورة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وممن حمل عنه العلم والحديث - وكانت ممن تثبت معه في المواقف الحرجة - فلقد مرت على الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقات صعبة في جهاد المشركين وكان من أصعبها صلح الحديبية - كما تقدم ذكره - إذ ثقل هذا الصلح على المسلمين ونفرت نفوس كثير من المسلمين منه - فلم يكونوا قد تبينوا حكمته بعد - ولم يثبت مع رسول الله إلا القليل وكان ممن ثبت معه زوجة أم سلمة رضى الله تعالى عنها بل أشارت عليه عندما شكا إليها ما لقى من أصحابه من أنه أمرهم أن ينحروا وأن يحلقوا ولم يقم منهم أحد بأن يخرج إليهم ولا يكلم أحدا منهم ثم ينحر ويدعو حالقه فيحلق - وفعل ما أشارت عليه به فبادر أصحابه إلى أتباع ما فعل - فكان الرأى في هذه الأزمة ما أشارت به أم سلمة ، فلو لم يكن من فضلها إلا مشورتها على الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحلق يوم الحديبية لكفاها .

٦- أن تظل بيوت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته مفتوحة لفترة من الزمن لتظل مقصدا لجميع المسلمين ومزارات يستنير بها أهل العلم والفقه والحديث ونساء المؤمنين إذ أن ترك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمنهم يعلمن نساءهم من الأحكام ما يليق بهن وما ينبغى أن يتعلمنه من النساء دون الرجال أفضل بكثير من ترك واحدة فقط أو اثنتين فما كان ذلك ليغنى في الأمة غناء التسع .

ولقد كانت رضى الله تعالى عنها تعد من فقهاء الصحابيات، ويبلغ مسندها كما قال الذهبى ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثا.

واتفق البخارى ومسلم لها على ثلاثة عشر وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر فقد عاشت فترة من الزمن في بيوت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت تتزعم قسما كبيرا منهن، وتتوسط إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمورهن وأمور المسلمين وكانت تسأله عن الفرائض وتعلم سائليها كما تقدم ذكره وبقيت بعده نصف قرن تهدى بهديه وتحدث بحديثه.

وروى عنها أبناؤها:

عمر وزينب وأخوها عامر وابن أخيها مصعب بن عبد الله ومكاتبها نبهان وكان من مواليها علماء من أئمة الأمة منهم شيبة بن نصاح وأبو ميمونة وعبد الله بن رافع ونافع وسفينة وابنه وأبو كثير وخيرة والدة الحسن البصرى.

وممن يعد في الصحابة صفية بنت شيبة وهند بنت الحارث الفراسية وقبيصة بنت ذؤيب وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدى وأبو وائل وسعيد بن المسيب وولدا عبد الرحمن بن عوف أبو سلمة وحميد وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن وسليمان بن سبأ وآخرون. الإصابة ٥/ ٢٢٢ -٢٢٥.

*****

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها
(زوجها الله تعالى برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنص بلا ولى ولاشاهد)

هى زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (الاستيعاب ٤/ ١٨٤٩) .

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها فلما انقضت عدتها منه . **أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾** (سورة الأحزاب ٣٧) .

فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل عليها بغير إذن ولى ولا شاهده .

وكانت أم المؤمنين زينب تفتخر بذلك وتقول: (زوجنى الله من فوق سبع سماوات) أخرجه البخارى .

وقال المنافقون: (حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه) وكان زيد بن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاك بالتبنى .

فأنزل الله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٤٠) .

وغير خاف أن في هذه الآية إشارة خفيفة إلى أنه لن يعيش ابنا من الأبناء الذكور لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يصل لسن الرجولة وهو ما قد كان فعلا فلقد مات كل أبنائه الذكور أطفالا .

وروى ابن أبى شيبة وابن منيع بسند صحيح عن أنس قال: «أولم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على زينب فأشبع المسلمين خبزا ولحما ثم

خرج فصنع كما كان يصنع إذا تزوج فأتى أمهات المؤمنين فسلم عليهن وسلمن عليه ودعا لهن ثم رجع وأنا معه» .

وعن أنس قال:

لما تزوج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام . . . وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت، فأخبرت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم انطلقوا فجاء حتى دخل .

فذهبت لأدخل فالقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٣) .

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت:

(كانت زينب هى التى تسامينى من أزواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنزلة عنده عليه الصلاة والسلام وما رأيت امرأة قط خيرا من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا أو صلة للرحم وأعظم صدقة) أخرجه مسلم ٢٤٢٢ / ٨٣ .

وفي مختصر سيرة البرماوي:

أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها هلال ذى القعدة سنة أربع من الهجرة وهى بنت خمس وثلاثين سنة يومئذ .

قال الشنقيطي: قبل هذا الزواج تحرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زينب ؛ فأمر زيدا أن يمسكها عليه ؛ ولكن الله سبحانه وتعالى زوجها له: ﴿**لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا**﴾ (سورة الأحزاب ٣٧) .

وقد أنعم الله على زيد بهذا الذكر ، وأنعم عليه رسوله بالحرية وبالهداية إلى الإسلام ، فرضى ألا يتمسك بزينب ، ورضى أن يختار لها ما اختاره الله سبحانه وتعالى .

ثم أبدى الله ما كان أخفاه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشية أن يقول الناس أنه تزوج زوجة ابنه ، وكان في الآيات التى نزلت عليه في أمرها نوع من العتاب حتى إن **عائشة كانت تقول:**

(ولو كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتما آية لكتم هذه الآية التى نزلت في أمر زينب) . رواه الترمذى ٢٠٨ .

لكن الله يعلم ما في قلب رسوله ويعلم عصمته وأنه لا يخشى غيره وكفى به حسيبا .

وقد أقر الله تعالى هذا الزواج ، ورضى به لرسوله ، وأراد أن يطمئن إليه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ونهى الناس أن ينسبوا إليه من ليس بابنه وألا يؤذوه وألا يغشوا بيوته من غير إذن فإذا كان الرسول يدعوهم إلى بيته ومأدبه ويستحى من إخراجهم عنه ، فإن الله لا يستحي من الحق ، وينهاهم عن الدخول على الرسول بلا إذن ، ويأمرهم ألا يستأنسوا بالحديث في بيته

وألاَّ يسألوا نساءه متاعا إلا من وراء حجاب .

كل هذه الأوامر والنواهى قد نزلت في شأن أم المؤمنين زينب بنت جحش التى أراد الله لها أن تطمئن في بيت نبيه ، وأن تعيش أياما ملؤها السعادة والسرور .

وكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش أهلا لهذا الامتنان ، قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها كانت أوَّاهة . .

وقالت أم سلمة: أنها كانت متعبدة تتصدق بعملها . (الإصابة ٧/ ٦٦٨)

وقالت عائشة: أنها قد عصمها التقى والورع . . (البخارى ٤١٤١)

ونعرف من عائلتها أخويها عبيد الله الذى هاجر إلى الحبشة وعبد الله

وروى أبو يعلى بسند حسن عن أبى برزة رضى الله تعالى عنه قال: (كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع من النساء فقال يوما: خيركن أطولكن يدا فقامت كل واحدة تضع يدها على الجرار .

فقال: لا لست أعنى هذا أصنعكن يدين) .

وروى أبو يعلى (٧٤٣٠) بلفظ لست أعنى هذا ، ولكن أصنعكن يدين (وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ٩/ ٢٥١)

وأخرجه مسلم ٢٤٥١/ ١٠١ بلفظ: (أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا) ورواية البخارى ١٤٢٠ بلفظ فكانت سودة اطولهن يدا .

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أولكن لحاقا بى أطولكن يدا .

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا

قالت: وكانت أطولنا يدا زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

وقالت: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا في وفاته عليه الصلاة والسلام نمد أيدينا في الجوار نتطاول؛ فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أراد طول اليد بالصدقة. (رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٥).

وروى الطبرانى عن راشد بن سعد قال: دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزله ومعه عمر بن الخطاب، فإذا هو بزينب وهى تدعو في صلاتها.

فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنها لأواهة».

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: «لقد ذهبت زينب حميدة فقيدة مفزعا لليتامى والأرامل».

وروى ابن الجوزى عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع قالت:

لما جاءنا العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها فلما أدخل عليها قالت:

"غفر الله لعمر غيرى من أخواتى أقدرمنى على قسم هذا".

قالوا: هذا كله لك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان من أهل رحمها وائتيناهم فغرفته حتى ما بقى منه بقية تحت الثوب.

فقالت لها برزة بنت رافع:

غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا حق.

قالت: لكم ما تحت الثوب.

فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: (اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا) فماتت قبله رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٠٩.

قال الذهبى:

وكانت من سادة النساء دينا وورعا وجودا ومعروفا رضى الله تعالى عنها وحديثها في الكتب والسنة .

روى عنها:

ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش وأم المؤمنين أم حبيبة وزينب بنت أبى سلمة وأرسل عنها القاسم بن محمد .

ولما ماتت رضى الله تعالى عنها أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مناديا: «**ألا يخرج معها إلا ذو محرم**» فقالت بنت عميس: يا أمير المؤمنين ألا أريك شيئا رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم ؟ فجعلت نعشا وغشته ثوبا .

فقال: ما أحسن هذا وأستره وأمر مناديا فنادى: «**أن أخرجوا على أمكم**» رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١١١

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش لعشرين سنة خلت من الهجرة .

(الإصابة ٧/ ٦٦٨)، وكانت أول نساء النبى لحوقا به وأطولهن يدا بالصدقة والإحسان ولما رأى . **الخليفة عمر بن الخطاب نعشها محمولا قال:** (نعم خباء الظعينة) وقد أثنت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر على دينها الذى عصمها من كل مكروه وكيف لا؟ وهى التى اختارها الله لنبيه وأنزل في شأنها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

ومن سياق ما تقدم تتبين لنا بعض ملامح الحكم من تزويج الله عز وجل رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم المؤمنين زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد الذى تبناه **الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فترة من الزمن ومن هذه الملامح:**

١- إبطال تلك البدع الجاهلية التى كانت لاحقة ببدعة التبنى كتحريم التزوج بزوجة المتبنى بعده وغير ذلك .

٢- عدم نسبة الأبناء لغير آبائهم .

٣- أن يكون قول الحق مقدمًا على الاستحياء من الناس ؛ لأن خشية الحق سبحانه وتعالى أولى وأحق من خشية الناس .

٤- إن من آداب الزيارة حياء المسلم الضيف بألا يدخل على مضيفه في بيته دون أن يؤذن له ، وألا يطيل في الزيارة أو في الحديث دون طائل ، وإذا أحس برغبة مضيفيه في انتهاء الحديث ، أو الزيارة ، فعليه أن يبادر فورا في الاستئذان والخروج .

٥- لا ريب في نزول الآية ٣٧ من سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٧) .

فيه نوع من العتاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه في ذات الحين يؤكد بدلالة قاطعة على صدقه وأمانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نقل ما يوحى به الله جل وعلا إليه فلو كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتما آية لكتم هذه الآية التى نزلت في أمر أم المؤمنين زينب . كما تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها .

*****

أم المؤمنين جويرية رضى الله عنها
(أعظم امرأة على قومها بركة)

هى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية كانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى في غزوة بنى المصطلق سنة خمس وكاتبت ثابتا على نفسها .

ثم جاءت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت:

يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ، وكان من أمرى ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، وإنى كاتبت على نفسى فجئت أسألك في كتابتى .

فقال لها: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل لك فيما هو خير لك .

قالت: وماهو يا رسول الله .

قال: أوفى عنك كتابك وأتزوجك .

قالت: قد فعلت .

وتسامع الناس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج جويرية ، فأرسلوا ما بأيديهم من السبى ، فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(نساء النبى لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى) .

وقد أورد ابن هشام رواية ثانية مفادها أن:

برة بنت الحارث جويرية فيما بعد سبيت أثناء غزوة بنى المصطلق فلما قدم النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغزو أقبل الحارث بن ضرار بفدائها ، ولما وصل العقيق رغب في بعيرين من الإبل التى ساقها للفداء فغيبهما في

شعب من شعاب العقيق ثم أتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال:

يا محمد لقد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها .

فقال له النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين البعيران اللذان غيبت بالعقيق؟

فقال الحارث:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله» فأسلم الحارث وقومه وخطب عنده النبى جويرية فزوجها منه .

وقال ابن هشام ومقاتل:

اشتراها عليه الصلاة والسلام من ثابت ، وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم وروى أن سعدًا عن أبى قلابة قال: جاء أبو جويرية فقال: (لا يسبى مثلها فخل سبيلها) .

فقال عليه الصلاة والسلام: «بل أخيرها» .

قال: قد أحسنت .

فأتى أبوها إليها فقال: أن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا .

قالت: «إنى أختار الله ورسوله» .

وروى الطبرانى برجال الصحيح عن الشعبى قال:

كانت جويرية ملك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعتقها وجعل عتقها صداقها وأعتق كل أسير من بنى المصطلق .

قالت أم المؤمنين عائشة:

فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

أخرجه أبو داود من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها

وروى الطبرانى في الكبير ٢٤/ ١٥٥ برجال الصحيح عن مجاهد قال: قالت جويرية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن أزواجك يفخرن على ويقلن: **لم يتزوجك رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فقال: ألم أعظم صداقك ألم أعتق أربعين من قومك ؟

قال الذهبى:

جاء لها سبعة أحاديث منها عند البخارى حديث وعند مسلم حديثان

وحدث عنها: ابن عباس وعبيد بن السباق وكريب ومجاهد وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزرى وآخرون .

وقد توفيت أم المؤمنين جويرية رضى الله تعالى في ربيع الأول سنة خمسين وقبل ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وقد بلغت من العمر سبعين عاما .

ومن ملامح الحكمة في إلهام العليم الخبير سبحانه وتعالى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الزواج من جويرية بنت الحارث سيد قومه بنى المصطلق ما يلى:

١- ادخال بنى المصطلق في الإسلام بعد أن كانوا من ألدّ خصومه وأعدائه بدعوتهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولفت نظرهم وسائر العرب والناس إلى أخلاقيات الإسلام من العفو عند المقدرة والحلم والتسامح والحياء والإيثار ، وأن الدعوة إلى دين الله الواحد الأحد الصمد رب العالمين والاقتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدم على أى اعتبار .

فلقد أسر المسلمون من بنى المصطلق مائتي بيت بالنساء والذرارى

فأراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى ليدخلوا جميعا عن طواعية في دين الله، فألهمه المولى جل وعلا، بالزواج من سيدتهم فقال الصحابة عليهم رضوان الله: أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاينبغى أسرهم وأعتقوهم حبًا في الله ورسوله فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عونا للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعونًا عليهم.

٢- أن تكون لأخلاقيات الإسلام الاعتبار الأول عند التعامل مع خصوم الإسلام، وما يقع في أيديهم من أسرى الكفار والمشركين، لأن الأصل في الدعوة إلى دين الله الحكمة والموعظة الحسنة، وإبداء فضائل الإسلام ودلائل عظمة رسالته، وما ينفرد به عن سائر الديانات.

٣- إنه ينبغى على المسلم مراعاة أقدار الناس عند التعامل معهم حتى ولو كانوا من غير المسلمين أو خصوم دينه، وخاصة عند وقوعهم أسرى لديه وأن يتعامل معهم بسمو أخلاقيات الإسلام.

*****

أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان
أقرب نسائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسبا وأكثرهم صداقا

هى أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس وأمها صفية بنت أبى العاص، وكانت متزوجة من عبيد الله بن جحش وقد هاجر معها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية فرارا من طغيان وبطش مشركى وكفار قريش، وكان أبوها أبو سفيان بن حرب آنذاك من رؤوسهم.

وفى أرض الحبشة تنصر زوجها عبيد الله وارتدَّ عن الإسلام والعياذ بالله أما هى رضى الله تعالى عنها فقد ثبتت على الإسلام.

وروى عنها رضى تعالى عنها أنها رأت في المنام عبيد الله زوجها بأسوأ صورة وأشوهها ففزعت.

وقالت تغيرت والله حاله:

فإذا هو يقول حيث أصبح: (إنى نظرت في الدين، فلم أر دينا خيرا من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، وقد رجعت فأخبرته بالرؤيا فلم يحفل بها وأكب على الخمر).

قالت فرأيت قائلا يقول:

يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتزوجني

(والقصة بطولها في طبقات ابن سعد/ ٩٧ والمستدرك - ٤/ ٢٠/ ٢٢)

ولقد صدقت رؤيا أم المؤمنين أم حبيبة، فقد عقد عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأرض الحبشة سنة ست (الاستيعاب).

فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ليخطبها عليه فزوجه إياها، وأصدقها النجاشى عنه عليه الصلاة والسلام أربعمائة دينار. (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى - ٨/٩٨ والحاكم في المستدرك ٤-٢٢).

وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

كما روى أن النجاشى أرسل إليها جارية أبرهة فقالت لها:

(إن الملك يقول لك: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى أن أزوجك منه) فإرسلت أم حبيبة إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته (ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٩٩).

وأعطت جارية أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى فقال: «**الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**».

أما بعد فقد أوجبت ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدى القوم.

ثم قام خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فقال:

(. . . . الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون) أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله

لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ودفعت الدنانير إلى خالد فقبضها ؛ ثم أرادوا أن يقوموا ؛ فقال النجاشى اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا - رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨- ٩٨ والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٢ - .

وكان ذلك في المحرم سنة ست من الهجرة ، وقيل سنة سبع على ما قاله الشمس البرماوى ، وكان أبوها أبو سفيان حال زواجها مشركا محاربا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى ابن سعد قال:

قدم أبو سفيان بالمدينة ، فأراد أن يزيد في الهدنة فدخل على ابنته أم حبيبة ، ولما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوته ودونه

فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه؟

قالت: بل هو فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنت إمرؤ نجس مشرك .

فقال: لقد أصابك بعدى شر - الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٩ الإصابة ٧ / ٦٥٣ السيرة النبوية لابن هشام ٤ ١٣ - أعلام النساء ١/ ٤٦٤ - .

قال ابن حجر في الإصابة:

روت أم حبيبة عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث وعن زينب بنت جحش أم المؤمنين .

وروت عنها ابنتها حبيبة وأخواها معاوية وعتبة وابن أخيها عبد الله ابن عتبة بن أبى سفيان وسفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفى وهو ابن أختها . ومواليها:

سالم بن سوال وأبو الجراح وصفية بنت شيبة وزينب بنت أم سلمة

وعروة بن الزبير وأبو صالح السمان وآخرون .

وأخرج ابن سعد من طريق عوف بن الحارث عن عائشة فقالت:

دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت:

قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ؛ فتحللينى من ذلك فحللتها واستغفرت لها فقالت: «**سررتنى سرك الله**» وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك ؛ وماتت أم المؤمنين أم حبيبة رضى الله تعالى عنها بالمدينة سنة أربع وأربعين ، في روايات ابن سعد وابن الجوزى وابن الأثير واليافعى والحاكم وابن عساكر وغيرهم .

ويتضح من سياق ما تقدم ملامح حكمة إلهام المولى عز وجل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين أم حبيبة وهى لا تخفى على إنسان عرف سيرتها الذاتية ، وعرف مدى عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبنى هاشم بزعامة أبيها أبى سفيان بن حرب ، ومدى ما كانوا يكنون به من كراهية وعداوة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل إسلامهم ، وانتقال هذه الكراهية إليها بعد إسلامها في بدء الدعوة وهجرتها إلى الحبشة ، فرارا بدينها ، ومما زاد الأمور تعقيدا تنصر زوجها ، وارتداده عن الإسلام فكان لابد من إنقاذها من الفتنة وتكريمها في ذات الوقت وإعلاء قدرها لثباتها على دينها .

كما أنه غير خاف أن مصاهرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبى سفيان بن حرب أحد زعماء قريش ، وزعيم الأمويين وكقائد رؤوس الشرك في الجاهلية المعادين للإسلام فيه تأليف للقلوب .

ولا ريب أن علم أبى سفيان وقومه بتوكيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنجاشى ملك الحبشة بعد إسلامه بتزويجه أم المؤمنين بنت أبى سفيان وإشراف النجاشى ملك الحبشة بنفسه على هذا الزواج وخطابه الرائع في هذه المناسبة

وإقامة وليمة كبيرة للمسلمين المهاجرين في الحبشة وغيرها من احتفال بذلك قد أثلج صدورهم، وأعلى من قدر أم حبيبة وقدر الدين الذى ثبتت عليه وضحت وجاهدت من أجله ورسول هذا الدين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى عقد عليها وتزوجها لإنقاذها من الفتنة وتكريمها وإعلاء قدرها لثباتها على دينها، وإن لم يفصحوا بها فهذه هى طبائع البشر، بل أقول:

إنه زاد من علو هذا القدر والمنزلة عند أبى سفيان رفضها رضى الله عنها له عندما قدم أبو سفيان للمدينة بأن يجلس على فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن طوته دونه باعتبار أنه مشرك والشرك نجاسة.

كما أنه غير خاف أن تكرست هذه الألفة بعد إسلام أبى سفيان وبنى أمية وتكريم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له عند فتح مكة بأن جعل من يدخل بيته في مكة فهو آمن.

يؤكد ذلك ما كان يفخر به أبو سفيان وولداه معاوية وعتبة وسائر بنى أمية بعد إسلامهم بكونهم أصهارًا للنبى خاصة بعد أن ظل أحد بيوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وبعد وفاته الذى تسكنه أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان مقصدا للمسلمين عامة، ولبنى أمية خاصة ومنارة من المنارات التى يستنيرون بها، فقد روت رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش خمسة وستين حديثا وروت عنها ابنتها حبيبة وأخواها معاوية بن أبى سفيان، وعتبة بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما وابن أخيها عبد الله بن عتبة، وابن أختها أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة ومواليها صفية بنت شيبة وعروة بن الزبير بن العوام وزينب بنت أم سلمة وأبو الجراح وأبو صالح وسالم بن سوال وآخرون.

*****

أم المؤمنين صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها
(أبوها هارون وعمها موسى وزوجها محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

هى صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام وأمها ضرة ابنة السموال .

قال الذهبى:

صفية أم المؤمنين بنت حيى بن أخطب بن سعية من سبط اللاوى ابن نبى الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ثم من ذرية رسول الله هارون عليهم السلام . (سير أعلام النبلاء - ٢/ ٢٣١)

كانت متزوجة من كنانة بن أبى الحقيق الذى قتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة .

قال أنس:

لما فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر وجمع السبى جاءه دحية بن خليفة الكلبى فقال:

يارسول الله أعطنى جارية .

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اذهب فخذ جارية**» فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير وما تصلح إلا لك .

قال: أدعوه بها فجاء بها فلما نظر إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: خذ جارية من السبى غيرها .

قال: فأعتقها وتزوجها .

فقال له ثابت: يا أبا حمزة يعنى أنس بن مالك فإنه كان يكنى بأبى حمزه وهو الراوى: ما أصدقها ؟

قال: نفسها أعتقها وتزوجها ثم نادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان عنده شيء فليجئ به .

قال: فبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالأقط ، وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجى يجيء بالسمن فحاسوا حيسا ، فكانت وليمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفى رواية: قال الناس: (لا ندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد ؟)

قالوا: إن حجبها فهى امرأته ، وإن لم يحجبها فهى أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها ورجعنا إلى المدينة ، فرأيته عليه الصلاة والسلام يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيرها فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب ثم انطلقت حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليه فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطيته (وصفية خلفه قد أردفها) .

قال: فعثرت مطيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسترها .

قال: فدخلنا المدينة ، فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها .

رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم .

وروي جابر:

إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى صفية يوم خيبر وأنه قتل أباها وأخاها ، وأن بلالا مرابها بين المقتولين وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه .

فقالت: أختار الله ورسوله، أخرجه في الصفوة.

وأخرج تمام في فوائده من حديث أنس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: هل لك في ؟

قالت: يارسول الله لقد كنت أتمنى ذلك في الشرك، فكيف إذا أمكنني الله منه في الإسلام.

وأخرج أبو نعيم من حديث ابن عمر:

"رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعين صفيه حضرة".

فقال: ما هذه الخضرة ؟

فقالت: كان رأسي في حجر أبي الحقيق، وأنا نائمة فرأيت قمرا وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني.. وقال: (تمنين ملك يثرب).

- رواه الطبراني في الكبير - ٢٤/ ١٧٧ -

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد - ٩/ ٢٥٤- صحيح.

وفي رواية قالت: ما رأيت أحسن خلقا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأيته ركب بي من خيبر على عجز ناقته ليلا، فجعلت أنعس فيضر رأسي مؤخر الرحل.

فيقول: يا هذه مهلا يا ابنة حيي.

حتى إذا جاء سد الصهباء قال: أما إني أعتذر يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي كذا وكذا" - رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - ٩/ ٢٥٥-".

ورواه أبو يعلى بلفظ: إن أباك ألب على العرب وفعل وفعل وأن قومك صنعوا كذا وكذا. أبو يعلى - ٧١٢٠.

وبنى بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما بلغ سد الصهباء فصنع حيسا في نطع وأمرني فدعوت له من حوله، فكانت تلك وليمة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ .

وروى عن صفية رضي الله تعالى عنها قالت:

دخل على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأنا أبكي فقال:

يا ابنة حيي ما يبكيك؟

قلت: ما بلغني أن حفصة وعائشة تناولان مني وتقولان: وإنا نحن خير منها نحن بنات عم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأزواجه .

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ألا قلت لهن: كيف تكن خيرا مني، وأبي هارون وعمي موسي، وزوجي محمد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟»
رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٢٧ .

وذكر ابن سعد من طريق عطاء بن يسار قال:

(لما قد مت صفية من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة منتقبة فلما خرجت خرج النبي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على إثرها فقال:

كيف رأيت يا عائشة ؟

قالت: رأيت يهودية .

فقال: لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها) .

- رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٢٦ .

وأخرج بسند صحيح من مرسل سعيد بن المسيب فقال:

(قدمت صفية وفي أذنها خرصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة ولنساء

معها) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٢٧ .

وقال ابن سعد أيضا: أخبرنا عفان: حدثنا حماد، عن ثابت عن سمية، عن عائشة أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان في سفر فاعتل بعير لصفية، وفي إبل زينب بنت جحش فضل .

فقال لها: إن بعيرا لصفية أعتل لو أعطيتها بعيرا .

فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية فتركها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذا الحجه والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها .

قالت زينب: حتى يئست منها . رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى - ٨/ ١٢٦، ١٢٧ .

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال:

اجتمع نساء النبي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مرضه الذي توفي فيه واجتمع إليه نساؤه . **فقالت صفية بنت حيي:**

(إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بى) .

فغمزت أزواجه ببصرهن . **فقال:** (مضمضن) .

قلن: من أي شيء يا رسول الله ؟

فقال: من تغامزنكن بها والله أنها لصادقة ؟

- رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٢٧ .

وقال الشنقيطي:

ولما أسلمت صفية نسيت كل شيء من أمر قومها وانمحت في بيوت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ .

ومن الطريف أن نلاحظ إنه قد كان بينها وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علاقات خاصة لم تكن بينه وبين سائر نسائه، ونراه وهو معتكف في المسجد لا يرغب أن يخالط نساءه، فكان لا يأتي لبيته إلا لحاجة وقد أراد مرة الاعتكاف في رمضان، ورأى أخبية حول المسجد وفيها عائشة - وحفصة- وزينب بنت جحش فأنكر ذلك عليهن.

وقال: (البر ترون فيهن) وترك الاعتكاف.

وكنا نراه في المسجد معتكفا وتزوره نساؤه ولما يردن الذهاب يأمر صفية بنت حيي أن تبقى معه ساعة، وحين تريد الذهاب من عنده يخرج معها يشيعها إلى باب المسجد، ويمر به رجلان من الأنصار ويسلمان عليه ويريدان الانصراف.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي».

ويكبر هذا الاعتذار عليهما ويقولان: (سبحان الله يا رسول الله).

غير أنه يذكرهما أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم". أخرجه البخاري ٣٥.

ففي هذا الحادث نرى أمرين:

أحدهما:

تلك العلاقة الخاصة التي بينه وبين زوجه صفية.

والثاني:

حرصه على أن يتجنب المسلمون مظان التهم وموارد الشيطان.

ونجد هذه العلاقة فيما كان يخاطبها به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقد

كان يوجه إليها عبارات ظاهرها الدعاء عليها، وهي في الحقيقة خطاب المقربين، ففي حجها معه بلغه أنها لا تستطيع أن تطوف فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حلقي عقري أو حابستنا هي؟**». (جزء من حديث أخرجه البخاري - ٣٢٨١ -).

وقد ورد نوع هذه العبارة لعائشة في قوله لها: (تربت يمينك)..

جزء من حديث أخرجه البخاري - ١٣٠ - ومسلم - ٤٤٥ رواه البيهقي في الكبرى - ٩/ ٢٢٧/ ١٨٦١١.

فهذه العبارات تدل إما على نوع من الإعجاب مثل ما يخص أبا بصير أو نوع من إظهار القرب وإسقاط التحفظ مثل ما وقع لصفية وعائشة.

وهذه هي صفية بنت حيي التي اصطفاها الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإصطفاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتقيم معه ثلاث سنين، وتحيا بعده في بيوته ستا وعشرين سنة، والتحقت به، وبقي اسمها خالدا حيا بين أسماء أمهات المؤمنين رضي الله عنها وعنهن أجمعين.

"في موكب السيرة -٢: ٦٨و ٧٠-".

وروي أبو عمرو أن جارية لصفية قالت للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: (إن صفية تحب السبت وتصل اليهود)..

فبعث إليها عمر فسألها فقالت:

أما السبت فإني لا أحبه منذ أبدلني الله يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها.

ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت. **فقالت:** الشيطان،

قالت: اذهبي فأنت حرة.

وروت أم المؤمنين صفية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى عنها: ابن أخيها ومولاها كنانة ومولاها الآخر يزيد بن متعب، وزين العابدين بن على بن الحسين، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث ومسلم بن صفوان .

وقد أخرج ابن سعد من حديث أمية بنت أبي قيس الغفارية بسند فيه الواقدي، **قالت:** أنا إحدى النسوة اللاتي زففن صفية إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى – ٨/ ١٢٩ .

وقال: توفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية . (الإصابة ٧/ ٧٣٩ – ٧٤٢) .

ومن سياق ما تقدم يتضح بعض ملامح حكمة إلهام المولى عز وجل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستجابة لرأي أصحابه بالزواج من صفية بنت حيي بعدما قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر وأراد أن يأخذها دحيه الكلبي من سبي خيبر .

فقالوا له:

(يا رسول الله إنها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك) .

– فاستحسن بإلهام من الله جل وعلا رأيهم حتى لا تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها، فاصطفاها وأعتقها وتزوجها، ليكون في ذلك درس لكل مسلم من أمته على مر العصور والأجيال بأن يتعامل مع الناس مراعيا أقدارهم، وأن ينزلهم منازلهم حتى ولو كانوا من خصومه أو

أعدائه .

- أن إباحة الإسلام للمسلم بالزواج من كتابية انطلاقا من أن من أركان الإيمان في الإسلام هو إيمان المسلم المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واعتراف الإسلام بما جاء من رسالات سماوية ، وإن كان قد جاء مصححا ومتمما لها ، فيه حكمة لا تخفى على عاقل أو متأمل ، فإن لم تسلم الزوجة وظلت على دينها أنجبت ذرية مسلمة ، وإن أسلمت وحسن إسلامها كانت بجانب ما تقدم دعوة طيبة لقومها ولغيرهم للدخول في الإسلام بما تتبعه من الأخلاقيات العظيمة التي أوجبها الإسلام كالبر بالوالدين ، وصلة الرحم ، وإصلاح ذات البين ، والإصلاح بين الناس ، وحسن الجوار ، والأمانة ، والوفاء والصدق ، والإخلاص ، والنصيحة والتواضع ، والتسامح والعفو ، والحلم ، والصبر ، والأخوة الإنسانية . . إلخ .

حرص الإسلام على أن يتجنب المسلمون مظان التهم ، وموارد الشيطان ، وقد اتضح هذا جليا من تصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما خرج مع أم المؤمنين صفية يشيعها عند باب المسجد ، ومر به رجلان من الأنصار سلما عليه وأراد الانصراف فيقول لهما: على رسلكما إنها صفية بنت حيي ليخبرهما أن من معه هي من أمهات المؤمنين فكبر هذا الاعتذار من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقالا:** سبحان الله يا رسول الله غير أنه ذكرهما أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم .

- أنه ينبغي على المسلم الذي يتزوج من كتابية أن يزيد من الاحتفاء بها وحسن التعامل معها بسمو أخلاقيات الإسلام ، وأن يعرفها على دلائل عظمة الرسالة المحمدية ، وأن يعينها على البر ومواصلة صلة الرحم مع أهلها و قومها . .

أسوة بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعامله مع أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها التي أسلمت وحسن إسلامها وأصبح بيتها بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستا وعشرين سنة إلى أن التحقت به أحد بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المفتوحة مقصدًا لكل المسلمين ونسائهم لينهلوا منها ما شاؤوا من فقه وعلم وحديث ومنارات يستنيرون بها ولم يك بيتها رضي الله تعالى عنها مقصدا للمسلمين فحسب بل أيضا لقومها وأهلها الذين رأوا ما رأوا من دلائل عظمة الإسلام والرسالة المحمدية فدخل الكثيرون منهم في دين الله أفواجا، وحسن إسلامهم حتى إن كنانة ابن أخيها ومولاها كان أحد الرواة عنها.

*****

obeikandl.com

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله تعالى عنها

آخر امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هي ميمونة بنت الحارث الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث تزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان بمكه معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر.

وكانت أختها الثانية أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث متزوجة من العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وأختها لأمها الثالثة سلمى بنت عميس متزوجة من حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه.

وكانت ميمونة قبله عليه الصلاة والسلام متزوجة من أبي رهم بن عبد العزى فلما تأيمت كانت قد جعلت أمرها إلى العباس رضي الله تعالى عنه زوج أختها فزوجها للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو محرم، فلما رجع بني بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسرف "موضع على بعد عشرة أميال من مكة".

ويقال: إنها وهبت نفسها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أن خطبته عليه الصلاة والسلام جاءتها وهي على بعيرها فقالت: (البعير وما عليه لله ورسوله).

وقيل: الواهية نفسها غيرها.

وكان اسمها برة فسماها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ميمونة)، وهي خاله ابن عباس وخالد بن الوليد وأخواتها أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب وأم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولبابة الصغرى بنت الحارث كانت متزوجة من أبي بن خلف الجمحي فولدت له علي بن أبي وعزة بنت الحارث التي كانت متزوجة من زياد بن عبد الله بن

مالك الهلالي .

فهؤلاء أخواتها لأبيها وأمها ، ولها أخوات من أمها:

الأولى: أسماء بنت عميس كانت متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فولدت له عبد الله ومحمدا وعونًا ، ثم لما استشهد في غزوة مؤتة خلف عليها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فولدت له يحيى .

الثانية: سلمى بنت عميس وكانت متزوجة من سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فولدت له أمة الله بنت حمزة وقيل: إمامة بنت حمزة ، ثم خلف عليها شداد بن أسامة بن الهادي الليثي ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن .

الثالثة: سلامة بنت عميس كانت متزوجة من عبد الله بن كعب بن منبه الخنعي .

الرابعة: أم المؤمنين زينب بنت خزيمة المسماة " أم المساكين " التي تزوجها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم ذكره .

وكان يقال في أوساط العرب:

إن أكرم أصهار عجوز في الأرض هم أصهار هند بنت عوف بن زهير ابن الحارث أم ميمونة بنت الحارث وأم أخواتها . .

فقد كان من أصهارها: العباس وحمزة رضي الله تعالى عنهما أبناء عبد المطلب .

الأول: على لبابة الكبرى بنت الحارث منها .

والثاني: على سلمى بنت عميس منها .

وجعفر وعلي ابنا أبي طالب رضي الله تعالى عنهما كلاهما على أسماء بنت عميس الأول قبل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والثاني بعد أبي بكر وشداد بن أسامة بن الهادي الليثي على سلمي بنت عميس عنها بعد وفاة حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بنتها زينب بنت خزيمة. (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين - ٢: ١٩٢).

زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميمونة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه كما تقدم ذكره وأصدقها عنه أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: كان صداق نسائه عليه الصلاة والسلام أربعمائة درهم. (السيرة النبوية لابن هشام - ٤/ ٣٥٠).

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت.

كان صداق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأكثر نسائه عشرة أوقية ونشا قالت: أتدرى ما النش ؟

قلت: لا

قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم صداق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أخرجه مسلم ١٤٢٦/ ٧٨).

وقال ابن شهاب:

هي التي وهبت نفسها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك قال قتادة.

وقال: وفيها نزلت ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (سورة الأحزاب ٥٠).

وقال ابن عبد البر: وقول ابن شهاب الصواب.

وروت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله تعالى عنها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة وسبعين حديثا.

أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة عشر حديثا والمتفق عليه منها سبعه وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة وروى لها الجماعة. (المجتبى لابن الجوزي).

وفي مجموعة رقم ٣٢ في مخطوطات دار الكتب الظاهرية: أنها روت تسعة وتسعين حديثا.

وقد روى عنها:

ابن أختها عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن أختها الصغرى يزيد بن الأصم، وربيبها عبيد الله الخولاني ومولاتها ندبة ومولاها عطاء بن يسار ومولاها سليمان بن يسار وإبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس وكريب مولي ابن عباس وعبيد بن السباق وعبيد الله بن عتبة والعالية بنت سبع وغيرهم.

وماتت رضي الله تعالى عنها بسرف أيضا وهو الموضع الذي بني بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه ودفنت في موضع قبتها التي ضربها لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين البناء بها، وذلك سنة إحدى وستين من الهجرة.

رواه الطبراني في الكبير ٢٣/ ١٠٢١ - والهيثمي في مجمع الزوائد - ٩/ ٢٥٢.

وروي الطبراني برجال ثقات عن محمد بن اسحاق قال:

ماتت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحرة سنه ثلاث وستين وصلى عليها ابن عباس، ودخل في قبرها رضي الله

تعالى عنهما وعنهن أجمعين .

وفي السير: عن يزيد بن الأصم قال:

دفنا ميمونة بسرف في الظلة التي بني بها فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد كانت حلقت في الحج ، نزلت في قبرها أنا وابن عباس .

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى -٨/ ٣٩ والحاكم في المستدرك - ٤/ ٣٢ .

وقيل توفيت بمكة فحملت على الأعناق بأمر ابن عباس إلى سرف وقال: (ارفقوا بها فإنها أمكم) .

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٤٠ من طريق الواقدي .

وعن عطاء توفيت ميمونة بسرف فخرجت مع ابن عباس اليها فقال: (إذا رفعتم نعشها فلا تزلزلوها ولا تزعزعوها) . أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ١٤٠ ومن طريق الواقدي وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٣ .

وقال الواقدي:

ماتت في خلافة يزيد سنة إحدى وستين ولها ثمانون سنة .

ويتضح لنا مما يتقدم أن الذي أشار على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث هو عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وكان رجلا حكيما يتميز ببعد النظر ورجاحة العقل ورقي الإيمان وسعة العلم والفقه وسمو الخلق ، كما كان أكثر الناس معرفة بأم المؤمنين ميمونة فقد كان زوج أختها فلابد أنه رأى فيها من سمو الإيمان وحب الإيمان لله ورسوله وحميد الخصال ، ومن الفقه والعلم وحسن

الاستماع والإدراك ما يؤهلها لتكون زوجة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأما للمؤمنين وقد يتضح جليا مدى حبها وطاعتها لله ورسوله ، عندما جاءتها خطبته عليه الصلاة والسلام وهي على بعيرها فقالت: (البعير وما عليه لله ولرسوله) .

كما أنها بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يناهز خمسين عاما أوصت قبيل وفاتها بأن تدفن بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حتى إن بعض الأئمة والفقهاء والعلماء كابن شهاب وابن عبد البر وقتادة وغيرهم أشاروا إلى أنها هي التي وهبت نفسها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزلت فيها الآية الكريمة ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (سورة الأحزاب ٥٠) .

وقد نرى أيضا أن العباس رضي الله تعالى عنه كان بعيد النظر فيما أشار به على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للزواج من أم المؤمنين ميمونة وقد نرى في بعد نظره هذا ما يلي:

١- جذب كبار القبائل المؤثرة إلى بني هاشم بمصاهرتهم ولقد كان لأم المؤمنين ميمونة وعائلتها تشعب كبير في بني مخزوم وبني هاشم وغيرها من القبائل ، ومن المعروف أن بني مخزوم كانوا قبل عدة سنوات قليلة من إسلامهم من أشد خصوم بني هاشم والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكثرهم عداء لدعوته ، فقد كانوا يرون في بعثه وإتيانه للرسالة سحبا لبساط السيادة من تحت أقدامهم .

٢- أن تقدم سن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنئذ مع ما كان يبذله من جهد جسماني يفوق أضعاف أضعاف الآخرين سواء في العبادة أوالقيادة قد

يكون أيضا من الدوافع التي أدت بعمه العباس بأن يرشح أم المؤمنين ميمونة خير عون لأمهات المؤمنين للعناية بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظرا لحبها الجمّ له .

٣- زيادة عدد بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيت تسكنه مؤمنة جليلة فقيهة تتميز بجم حبها لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء في حياته أو بعد وفاته يكون مقصدا للمسلمين ونسائهم وخاصة القبائل التي تتشعب فيهم قرابتها رضي الله تعالى عنها لتوطيد أوأصر المحبة والمودة بينهم ومنارة يستنيرون بها ويتزودون فيها بما يتشوقون إليه من فقه وعلم وحديث ، ومما يؤكد ذلك أن روى عنها على سبيل المثال ابن أختها عبد الله بن عباس وابن أختها الأخرى يزيد بن شداد وابن أختها عبد الرحمن بن السائب الهلالي وابن أختها الأخرى يزيد بن الأصم . . إلخ .

وهم قبائل مختلفة . .

ورغم أنها ظلت مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنوات فقط في حياته إلا أنها روت عنه أكثر من ستة وسبعين حديثا وقيل: تسعة وتسعين حديثا - أخرج لها في الصحيحين ثلاثة عشر حديثا وروى لها الجماعة .

وقد نخلص من ذلك أن العليم الخبير ، قد جعل العباس بن عبد المطلب سببا لزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث وسبحان مسبب الأسباب ، وألهم سبحانه وتعالى العلي القدير رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبول عرض عمه العباس ومبادرته بخطبة أم المؤمنين لما فيه خير له وللمسلمين كما تقدم شرحه .

* * * * *